الأكراد والأرمن

في العصر الحميدي

دكتور السعيد رزق حجاج



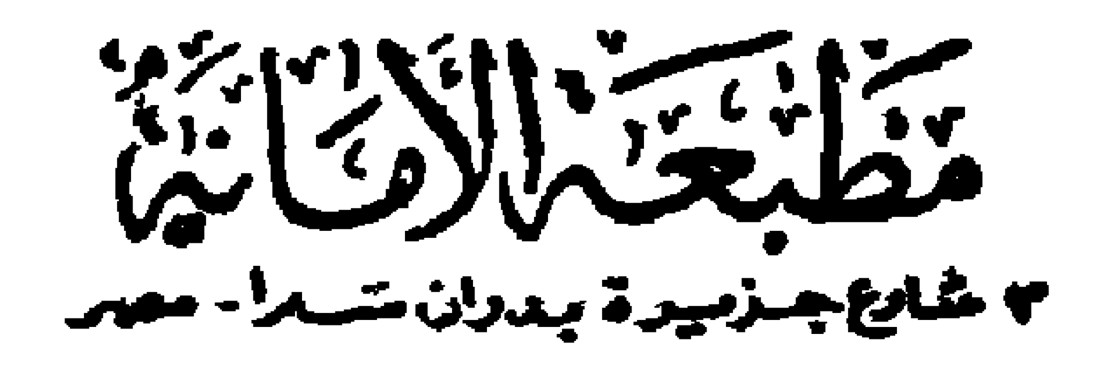
دكتور السعيد رزق حجاج

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الأكراد والأرمن في العصر الحميدى

الطبعة الاولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

- الى من وهبها الله لتكون عونا لى على مواصلة الجد والعمل .
- الى زوجتى الفاضـلة والتى قطعت معى مشـوار الحياة على الرغم من وعورة الطريق .
- الى أبنائى الاعزاء : هانى ـ حسام ـ احمـد داعيا المـولى عز وجل أن يبارك فيهم ويوفقهم الى طـريق العلم النافع خدمة لدينهم ووطنهم .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين « وبعد » :

فهذه الدراسة التي وفقني الله الى اعدادها تحت عنوان : « الاكراد والأرمن في العصر الحميدي ... » شغلتني منذ أربع سنوات خلت ، بعد أن كثر الحديث عن مذابح طائفة الأرمن في أخريات القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وعلى وجه التحديد في عصر السلطان عبد الحميد الثاني الذي اتهم بأنه « عندما أراد الفتك بالأرمن لم يجد غير الاكراد لتنفيذ مآربه بالنظر الى ميلهم الطبيعي للقتال وأنه افتعل حربا دينيه بينهم تحولت الى مجازر بشرية هائله » .

وقد تناسى هؤلاء دور الارمن في ارتكاب الكثير من المذابح والمجازر ضد الأكراد والعثمانيين في وقت واحد وبتحريض ومساندة من بعض الدول الأوربية التي كانت في ذات الوقت تتباكى على حقوق الانسان وتتهم السلطان عبد الحميد بأنه « السلطان الاحمر » و « الدكتاتور » و « المستبد » الى غير ذلك من الاوصاف التي أطلقت وأصبحت وكأنها احكام « نهائية » غير قابلة للنقض وكان من الضروري دراسة الموضوع في مصادره المتوفرة بالمكتبات المصرية ، وبعد ثلاث سنوات متصلة من البحث والتنقيب ظهرت أكثر من علامة أستفهام حائرة في حاجة الى اجابة شافية عن حقيقة هذه المذابح ، وحجمها ، والآثار التي ترتبت عليها وخاصة فيما يتعلق بعلاقات الاكراد والارمن في تلك الفترة .

واذ كان البحث في الموضوع قد توقف لبعض الوقت بعد أن

عزت المصادر وتاهت الحقائق ، وتضاربت الاقوال فقد جاءت محاولتي الى كلية الآداب بجامعة الموصل فرصة طيبة — من الناحية العلمية فقط — لاعادة البحث مرة أخرى في ضوء الظروف المتوفرة من خلال مصادر جديدة لها أهميتها ، ومقابلة عدد من مثقفي الأكراد والبعض من الارمن المقيمين بمدينة الموصل وعلى الرغم من كل ذلك فقد ظلت دراسة هذا الموضوع تكتنفها صعوبات غير قليلة يأتى فى مقدمتها عدم توفر المصادر الكافية التي توضح حجم وطبيعة الاحداث التى أدت الى الصدام بين الطائفتين ، وتحيز المصادر الكردية لوجهة نظر الاكراد فى نفس الوقت الذى تتحيز فيه المصادر الارمنية لوجهة نظر الارمن بالطبع كما أن بعض الدراسات التى صدرت عن السلطان عبد الحميد فى بعض الدول الاسلامية دافعت عن تصرفاته على طول الخط وحاولت تجاهل مسألة الارمن أو وصفهم بأنهم لم يكونوا غير « طائفة ارهابية متمردة » .

والأكراد والأرمن طائفتان تتشابهان فى كثير من الظروف والأحداث التى مرت على الشعبين ، وكذلك فى أحوالهم المعيشية ، وسعيهما الدائم الى التمتع بالحرية والاستقلال ، كما يتشابهان فى عراقتهما بالمناطق التى يقيمان فيها منذ آلاف السنين .

وهناك أيضا عوامل تبعد الشعبين أو بتعبير أدق بعض الطبقات من الشعبين عن بعضهما ، كما كانت هناك عوامل أخرى تقرب بينهما وأما عن مسئولية السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ — ١٩٠٩) ودوره فى اذكاء نيران الفتنة بين الأكراد والارمن واستمالته للاكراد مستغلا حماسهم الدينى المتقد ، فقد عرفوا عند كثير من المؤرخين بأنهم « فرسان التاريخ الاسلامى » مما جعله يشكل منهم ومن غيرهم ما عرف باسم « الفرسان الحميدية بغرض التصدى لثورات الارمن الدامية التى

قاموا بها فى الولايات التى تقطنها أعداد كبيرة منهم ، وكذلك فى بعض المدن العثمانية الأخرى بدافع من تعصبهم الدينى وبمساندة ودعم كبيرين من روسيا القيصرية ومن بعض الدول الأوربية الأخرى لا سيما انجلترا .

وقد تجاوزت ثورات الارمن كل الحـــدود ، وتحولت الى مـذابح وحشية ضد الابرياء من المسلمين ، بل وضد بعض الارمن المعتدلين ، كما قاموا بعمليات اغتيال لبعض المسئولين العثمانين وحتى السلطان العثمانى (عبد الحميد) لم يسلم من محاولة اغتيال خطط لها الارمن ، الذين هاجموا بعض المنشآت الحكومية الحيوية ، وقاموا باحتجاز عـــدد من العاملين بها ، تماما كما تفعل بعض المنظمات الارهابية فى عصرنا هذا .

وحتى تمنع الحكومة العثمانية مثل هذه الاعمال وتحـــافظ على الامن ، وتسعى لتخفيف حدة التوتر لتمنع وقوع المصادمات بين الجانبين مستقبلا اتخذت خطوات كفيلة بتهدئة الموقف من بينهـــا تعين اداريين مسيحيين فى الولايات الست بشرق الاناضول على الرغم من أن سكانها كانوا يشكلون أقليات عددية بالنسبة لغالبية السكان المســـلمين وعلى الجانب الآخر قام السلطان عبد الحميـــد بتعزيز القـــوات الكــردية والتركمانية لمواجهة الاضطرابات وذلك من خلال ما عرف باسم « الحرس الحميدى » أو « الفرسان الحميدية » كما يسميها البعض .

وقد انشئت هـــذه القوات فى ولايات : فان : تبليس ، وأرضروم وكان عددها حسبما أشارت المصادر حوالى ٥٠٫٠٠٠ فارس تقـــدمهم العشائر الكردية والتركمانية ، وبعد تفاقم المذابح التى قام بها الارمن امتد نشاط هذه القوات الى الولايات الثلاث الإخرى بحيث أصبح عملها يغطى الولايات الست الارمنية .

وقد سميت هذه القوات بـ « الفرسان الحميدية » تيمناً باسم السلطان عبد الحميد الثاني ، ولم يكن تشكيلها بهدف مواجهة ثورات الارمن فقط ولكنها كانت تجهز باعتبارها قوة احتياطية للجيش العثماني يمكنها الاشتراك في الحروب القادمة المتوقعة ، خاصة مع روسيا التي كانت أكبر أعداء العثمانين وأخطرهم في القرن التاسع عشر .

وهذه القوات الحميدية لقيت اهتماما بالغا من الحكومة العثمانية ووضعت لها قائمة مفصلة من التعليمات ، وشاركت بالفعل في التصدي لثورات الارمن في عصر السلطان عبد الحميد ومنح افرادها امتيازات واسعة ، ورافق صدور قرارات تشكيلها حملة دعائية واسعة لتشجيع رؤساء العشائر على مساندة تشكيل الفرق الحميدية .

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخين الاكراد لم يتطرقوا الى الدور الذي قام به الفرسان في التصدي لمذابح الارمن باستثناء المؤرخ الكردي المعاصر - كمال مظهر - الذي قام بدراسته في مقدمة كتاب قيم له تحت عنوان « كردستان » في الحرب العالمية الاولى » ولم ينكر دور الاكراد في مذابح الارمن ولكنه ألقى بالمسئولية على الدولة العثمانية التي ضربت - كما يقول - تلك الاقليات بعضها بالبعض الآخر . وأشار كذلك الى مذابح الارمن التي أمتدت الى كثير من القرى الكردية وكان لها أثرها في أستجابة الاكراد لنداء السلطان عبد الحميد والانضمام الى الفرسان الحميدية .

وهناك من مؤرخي الارمن من تناول هذه المذابح من وجهة نظرهم المنحازه بالقطع والقوا باللائمة على العثمانين والاكراد وبرروا موقف بني جلدتهم بأنه كان « دفاعا عن النفس » .

وقبل الاستطراد فى الحديث عن هذا الموضوع تجدر الاشارة الى أنه مما ضاعف من صعوبته أن كتابات مؤرخى الأكراد والارمن كانت باللغتين الكردية والارمنية وكلتاهما من اللغات غير المتداولة الا فى اوساط الشعبين .

مما تطلب جهدا كبيرا واتصالا ببعض الزملاء من الأكراد العاملين فى جامعة الموصل والذين أمدونى بعدد من المصادر ذات الاهمية وترجموا صفحات من مصادر كردية ، كما قمت بصحبة رئيس قسم التاريخ فى جامعة الموصل بزيارة لمكتبة الطبيب الأرمنى المعروف « استار جيان » صاحب كتاب ، تاريخ الامة الارمنية ، وكتاب تاريخ الثقافة والادب الارمنى وهى مكتبة نادرة وعامرة بالكثير من المؤلفات الارمنية ومعظمها باللغة الارمنية وكان من الضرورى الاستعانة ببعض الارمن الذين يتكلمون العربية والارمنية لترجمة بعض الصفحات ... وبعد قراءة ما ترجم تبين أنه لا يعدو أن يكون تحيزا صارخا وبعيدا عن الموضوعية والدقة .

وأما فى المكتبة العربية فكانت كتابات أستاذنا الراحل الدكتور عبد العزيز الشناوى عن الدولة العثمانية قد تناولت مذابح الارمن فى العصر العثمانى بموضوعية وحيدة علمية على الرغم من عدم اشارتها لدور الاكراد وعلاقتهم بالارمن .

وهناك كتاب فائز الغصين ، المذابح فى أرمينيا وهو تعبير عن وجهة النظر الأرمينية وتفيض صفحاته بالتحامل الشديد على الدولة العثمانية بصفة عامة وعصر السلطان عبد الحميد بصفة خاصة .

والذى لاشك فيه أن روسيا لعبت دورا كبيرا فى تلك الفترة

باثارتها للارمن للقيام بأعمال العنف كجزء من سياستها الرامية للقضاء على الدولة العثمانية والحصول من الغنيمة على ما يوصلها للاشراف على المضايق والسيطرة على استانبول (القسطنطينية) ٠

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الارمن بطبيعتهم كانوا ميالين للعنف والفوضى وأنهم استغلوا تسامح الدولة معهم واعتبارهم طائفة نشطة تستحق الرعاية والاهتمام ليقوموا بتلك الأعمال الفوضوية التى أدت الى مبادلتهم العنف بمثله وأكثر منه فى بعض الأحيان لتكون النتيجة مقتل الآلاف من الجانبين ويعتقد بعض المؤرخين أن امكانية التعايش والتفاهم بين الارمن والاكراد كانت ممكنة ولكن الحكومة العثمانية خشيت تعاون الطائفتين معا للمطالبة بالاستقلال ونجحت فى اثارة عاطفة الاكراد الدينية وميلهم الطبيعى للعنف لمواجهة ثورات الارمن ٠

وقد علم فى الآونة الاخيرة أن كثيرا من الجامعات الامريكية أقامت فى عام ١٩٨٩ عشرات الندوات للتنديد بمذابح الارمن فى العصر العثمانى ٠

وفى اعتقادى ان الطائفة الارمنية فى الولايات المتحدة وهى من أنشط الطوائف هناك كان لها دورها فى اثارة مثل هذه القضية بعد أن مرت عليها هذه السنوات الطوال ، كما أنها محاولة لكسب عطف الأمريكيين ومساندتهم لجمهورية أرمينيا التى تطالب بالاستقلال عن الاتحاد السوفيتى والذى أرجوه فى النهاية أن تكون هذه الدراسة حول العلاقات الكردية الأرمينية فاتحة لبحوث أخرى فى المستقبل القريب حول تاريخ الأمتين الكردية والأرمينية ٠

والله ولى التوفيق

د/ السعيد رزق حجاج

حدائق القبة — نوفمبر ١٩٩٠

الفصل الأول

العصر الحميدى

يطلق الباحثون عادة على الفترة الممتدة بين سنة ١٨٧٦ وسنة ١٩٠٩ عند خلع السلطان عبد الحميد الثانى على أيدى جماعة الاتحاد والترقى ، عهد المشروطية الأولى ، أو العصر الحميدى ، نظرا لأن هذه الفترة هى فترة حكم هذا السلطان الذى استمرت زهاء أربعة وثلاثين عاما ليكون بذلك من أطول سلاطين العثمانيين حكما (١) •

وقد جاء السلطان عبد الحميد الى الحكم والدولة العثمانية والبلاد العربية التابعة لها قد وصلت الى حالة كبيرة من التخلف الاجتماعى والثقافى والحضارى ينطبق هذا على جميع أقاليم الدولة بما فيها تركيا ذاتها • وكان لمجيئه أثر واضح فى المحاولات الكثيرة والجهود الكبيرة التى بذلت لرفع شأن الدولة واجراء الاصلاحات الممكنة ولكن هيهات فقد استشرى الفساد فى كل مكان ، وأصبح الانقاذ أمرا عسيرا خاصة وأن الدول الاوربية كانت قد قطعت شوطا كبيرا من التقدم والرقى وأخذت بأسباب القوة الاقتصادية والعسكرية (٢) •

وعلى الرغم من تناقض أقوال المؤرخين فى تقييم عصر السلطان عبد الحميد الا أن الحقيقة أن هذا الحاكم المسلم كان ملء السمع والبصر ، وكان واحدا من السلاطين البارزين فى التاريخ العثمانى ، وأنه قد تعرض لحملات اعلامية شرسة فى زمانه وحتى اليوم من جانب خصومه السياسيين ــ وما أكثرهم ــ من ناحية ومن جانب عدد غير قليل من المؤرخين الأوربيين والشرقيين من ناحية أخرى •

وقد تعرض هؤلاء المؤرخون لسنوات حكمه ، كما تعرضوا لحياته العامة والخاصة واصفين اياه بكل نقيصة ... فهو السلطان السفاح والسلطان الاحمر ... الخ وقد تلقف الحاقدون على الدولة العثمانية وعلى السلطان عناصر هذه الحملات وراحوا يرسمون صورة غير حقيقية عن حياته وسنوات حكمه(٣) .

- وهناك صنف آخر من المؤرخين حاول أن يضفي على حكم السلطان عبد الحميد هالة من القداسة حتى وصفه بأنه « السلطان المعظم المفخم سلطان سلاطين العرب والعجم ، حائز العلم والصلاح والكرم ، المتشرف بخدمته طيبة والحرم صاحب السيف والقلم ، ظل الله في العالم ، غياث بني آدم ، نعمة الله على العباد ، وفضله على الحاضر والباد ، ناصر الحق والدين ، ومؤيد شريعة سيد المرسلين ، المحفوف بالسبع المثاني . أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي عبد الحميد الثاني ، أعز اللهم سرير الملك والخلافة بوجوده وأعد على القريب والبعيد آثار فضله وجوده ، وانفذ في جميع البلاد أوامره وأحكامه ، ونشر على البرايا ألوية عدله ... ، وأيده بتأييد له وجعل سلالة تلك السلطنة العلية سلسلة الى منتهى الدوران مستمر على مرور الليالي والايام باقية الى آخر الزمان آمين يارب العالمين ... » (٤) .

وعلى هذا المنوال نسج الكثيرون ممن كتبوا عن السلطان عبد الحميد ونفوا عنه كل نقيصة ، واعتبروا سنوات حكمه امتدادا لحكم الخلفاء المسلمين الفاتحين .

. والحقيقة التي يمكن الاطمئنان اليها أن السلطان عبد الحميد تولى سلطاته في ظروف بالغة الصعوبة ، وكانت أحوال الدولة - كما يقول

أستاذنا الدكتور محمود منسي - سيئة للغاية ، ومستقبلها يبدو قاتما فقد أخذت الوية العصيان ترتفع فى أقاليمها المختلفة لاسيما فى شبه جزيرة البلقان ، واشتدت الثورة فى بلغاريا ، وهددت الروسيا بالتدخل العسكرى بحجة الدفاع عن الشعوب البلقانية فى نفس الوقت الذى كانت ترمى فيه الى تحقيق أطماعها فى الاراضى العثمانية (٥) .

وحتى تصبح الصورة أكثر وضوحا نلقى نظرة سريعة على فترة ما قبل عصر السلطان عبد الحميد ، فقد ظلت الدولة العثمانية قوية مهابة تتحدى الدول الطامعة حتى قدر لها فى فترة من فترات تاريخها أن ترزأ بسلاطين مستهترين ضعاف ، همهم الملذات والترف والمجون فانصرفوا عن متابعة شئون الحكم ، وأصبحوا أسرى فى قصورهم ووقعوا تحت تأثير محظياتهم من الحريم ، والمستشارين الفاسدين المرتشين ، مما أدى الى ضعف الدولة وطمع الطامعين من الدول الاستعمارية فيها ، تلك الدول التى استغلت تلك الاوضاع وأخذت تتدخل فى شئون الدولة الداخلية عن طريق قناصلها وسفرائها . واستطاعت تلك الدول الحصول على مزيد من الامتيازات وفرضت وصايتها على الطوائف والاقليات معتبرة نفسها حامية لها ، مدافعة عن حقوقها . واخذت تحيك المؤامرات للاجهاز على الدولة التى اوشكت على السقوط فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والتى أصبحت تسمى عندهم بـ «الرجل المريض» الذى لم يكن يبقيه فى آخر الأمر على قيد الحياة الا صراع الدول الاستعمارية على اقتسام تركته، وحرص كل منها على الاستيلاء على النصيب الاكبر من ولايات الدولة العثمانية (٦)

ولسنا فى مجال الحديث عن أحوال الدولة العثمانية قبل السلطان

عبد الحميد تفصيلا فليس ذلك موضوعنا ، لكن هذا الاستعراض قد يوضح بالصورة المفجعة التي كانت تعيش فيها الدولة ، والتي لم ينفعها وصول عبد الحميد أو غيره ، الى الحكم ، لأن المرض قد استشرى لدرجة لا تجدى معها كل الجهود الجبارة التي بذلت لانقاذها .

اعــلان الدستور :

على الرغم من هذه الظروف غير المستقرة أعلن السلطان عبد الحميد في ديسمبر ١٨٧٦ بعد مناقشات جرت في جو يسوده رد الفعل الوطني والاسلامي ضد حركة الجامعة السلافية والتدخل الروسي الاوربي لصالح الثوار في شبه جزيرة البلقان . وكانت مسودة الدستور قد وضعت على يد لجنة من العلماء والموظفين المدنيين الذين رأسهم مدحت باشا ، وحين قدم الى السلطان قبل على مضض بعد ان اضاف اليه فقرة تخطيه حق نفي كل من يهدد امن الدولة (٧) .

وقبل اعلان الدستور عين مدحت باشا صدرا أعظم في نفس الوقت الذي اجتمع فيه مندوبو الدول في مؤتمر الاستانة لبحث الاصلاحـــات الواجب على الدولة تنفيذها من اجل تحسين احوال مسيحيي البلقان . ولدى افتتاح المؤتمر أطلقت المدافع معلنة صدور الدستور . وقيل لمندوبي الدول أن الدولة العثمانية تزمع اصلاح شئونها بنفسها في ظل حكومة دستورية .

ومع ان اعلان الدستور في مستهل عصر السلطان عبد الحميد كان متصلا بأوضاع الدولة ومواجهتها لاحداث البوسنة والهرسك وبلغاريا والتحرش الروسي والتدخل الاوربي ، الا انه جاء تتويجا للاتجاه الاصلاحي

الذى كان قد بدأ منذ أواخر القرن الثامن عشر ـ أى ان القول بأن صدوره كان مجرد ذر للرماد فى العيون انما يتضمن الكثير من المبالغة(٨) ٠

ولم يكن الدستور العثمانى نسخة طبق الاصل من الدساتير الغربية وهو ماذهب اليه البعض وقت اعلانه ، بل كان امتدادا للتجارب والممارسات العثمانية السابقة ٠ فقد نص على فصل السلطات من حيث الشكل لا المضمون ، كما ان التغيرات التى طرأت على نظام الحكم طبقا له كانت من قبيل التطور لا الانسلاخ عن ممارسات الماضى وقد جاء فى الدستور ان السيادة العثمانية تشمل خلافة الاسلام العليا ، بشرط ان تخلع على أكبر افراد آل عثمان سنا ، كما نص الدستور على ان شخص السلطان مصون لا يمس ، وانه لا يسأل أمام أحد عن أعماله ، ومن ثم كان الدستور برمته مرتهنا بشخصه ، فله وحده حق تعين واقالة الوزراء الذين أصبحوا مسئولين أمامه لا امام البرلمان ، كما انه الذى يعقد المعاهدات ويعلن الحرب ومعاهدات الصلح ، وهو القائد العام للقوات المسلحة العثمانية ، وهو الذى يصدر القوانين العلمانية ، ويشرف على تطبيق الشريعة ،ويعدل أحكام العقوبة القانونية ، ويدعو البرلمان الى الانعقاد ويفض جلساته ويضع الترتيبات الخاصة بانتخاب النواب (٩) ٠

وهكذا ظل السلطان عبد الحميد يتمتع بالسلطة التى سبق لاسلافه ان تمتعوا بها ، وقد أصبح مدحت باشا بصفته رئيسا للوزراء أول ضحايا العهد الجديد بعد أن قلت الاخطار الخارجية التى كانت تواجه الدولة فازاء الصلاحيات الواسعة التى منحها الدستور للسلطان فان الصدر الأعظم لم يتم له أن يلعب سوى دور ثانوى بالنسبة الى شئون الدولة العامة ٠

وعلى الرغم من هذه الملاحظات فان الدستور الجديد كان يضمن الحريات المدنية وينص على مبدأ الحكومة البرلمانية المستندة على التمثيل العام • وبموجب هذا الدستور كان البرلمان يتكون من مجلسين : مجلس النواب أو المبعوثان باعتبار النائب مبعوثا من أهالى دائرته الانتخابية ، ثم مجلس الاعيان أو الشيوخ •

وكان يهدف الى تقييد السلطة المطلقة وتحقيق المساواة فى المعاملة بين الرعايا على اختـلاف أجناسـهم ومذاهبهم ، وأعلن الدستور حرية المطبوعات والاجتماع ومبدأ التعليم الالزامى(١١) •

والذى يهمنا فى هذا المقام أن عهد الحياة الدستورية لم يطل ،لان هناك اسبابا داخلية وخارجية ساعدت على ذلك لان مدحت باشا حاول ان يقيم نظاما دستوريا دون أن تكون هناك تقاليد دستورية سابقة ، لذلك لم يحدث رد فعل قوى لتعطيل مواد الدستور حيث ان الحياة الدستورية لم يكن يساندها رأى عام واع ، كما انه حاول اقامة دستور واحد لوحـدة سياسية كبرى لم تكن أقاليمها متجانسة بسبب تنوع ثقافاتها هذا بالاضافة الى مؤامرات الدول الاجنبية والعناصر الرجعية التى سعـت لتقويض الحكم الدستورى (١٢) •

عـزل مدحت باشا :

بعد قليل من تولية السلطان عبد الحميد قام بعزل مدحت من الصدارة العظمى فى ٩ فبراير عام ١٨٧٧ وأمر بنفيه خارج البلاد ، وبرر صدور هذه الخطوة أمام عدد من سفراء الدول الاوربية بالإستناد إلى المادة ١١٣ من الدستور الجديد وهى المادة التى تعطى السلطان الحق فى أن يطرد من أراضى الامبراطورية ، كل أولئك الذين يثبت من المعلومات الموثوق

بصحتها والتي يجمعها رجال الشرطة .أنهم خطرون على أمن الدولة ولاريب انه قد أحسن اختيار الوقت الذى عزل فيه مدحت ونفيه الى الخارج ٠ فقد كان مدحت وقتئذ يتعرض لهجوم من ناحيتين :

من المحافظين الاتراك الذين كرهوا كل برنامج للاصلاح ، ومن احرار الاتراك أو الليبراليين بقيادة نامق كمال وضيا باشا الذين اعتقدوا ان وسائل مدحت لتنفيذ الاصلاح قاصرة أو غير كافية على الاطلاق ٠

وأما مجلس المبعوثان الذين أجتمع لاول مرة فى مارس ١٨٧٧ فلم يعمر هو الاخر طويلا ، فقبل ان يتم هذا المجلس دورة انعقاده الثانية طلب النواب فى ١٣ فبراير عام ١٨٧٨ أن يمثل ثلاثة من الوزراء أمام المجلس للدفاع عن أنفسهم من الاتهامات الموجهة ، فما كان من السلطان عبد الحميد الا أن أمر فى اليوم التالى بفض المجلس وعودة النواب الى بلادهم وقام بنفى وابعاد البارزين منهم

وبذلك بلغت مدة انعقاد المجلس خلال دورته الاولى والثانية عشرة شهور وخمسة وعشرين يوما ٠ ولم يدع هذا المجلس للاجتماع بعد ذلك لمدة ثلاثين عاما لم تفتح خلالها قاعة المجلس ولو مرة واحدة حتى لتنظيفه واستبدال زجاجات الشبابيك التى كانت تتكسر الواحدة بعد الاخرى بتأثير الرياح والعواصف فى أوقات مختلفة (١٣) ٠

مابعد تعطيل الدستور :

بعد أن عطل السلطان عبد الحميد الدستور الوليد ولم يقم بالغائه بصفة رسمية حتى يوهم الدول الاوربية والاحرار بأن هذا التعطيل سيكون لفترة مؤقتة يستأنف بعدها فى ظل ظروف مواتية ولذلك حكم السلطان البلاد حكما مطلقا واتخذ خطوات عديدة فى هذا الاطار كان من أهمها

تقييد حرية الصحافة واخضاعها لرقابة صارمة ودقيقة ، حتى أصبحت جسما بلا روح ، فما كانت أى جريدة تستطيع ان تنشر كلمة واحدة ولو كانت فى باب الاعلانات دون الحصول على موافقـة الرقيب الدائم . وأصبحت مهمة الصحافة - كما هو الحال فى العصور الاستبدادية - مقصورة على نشر كل ما يطيب للسلطان نشره من ألفاظ التعظيم والتفخيم والتمجيد لشخصه ، ولم تكتف السلطات العثمانية فى عصر السلطان عبد الحميد بذلك ، بل فرضت حظرا دقيقا على دخول الصحف العربيـة وغير العربية التى تصدر فى مصر واوربا وامريكا الى بلاد الدولة لانتقادها الحكم الاستبدادى ، ولنشرها أخبارا أو مقالات يعتقد أنها تثير وعى الجماهير (٢٤) .

ويعتقد البعض ان السلطان بعد أن عطل الدستور ، وعصف بمجلس المبعوثان لم يكن أمامه الا أن يحكم البلاد بيد حازمة ، فى ظروف كانت الاخطار تحيط فيها بالدولة من كل جانب . ولو ان هذه الاتجـاهات الاستبدادية التى يحاول المدافعون عن السلطان تبريرها كانت لها آثار خطيرة بدت واضحة جلية فى جهاز الدولة العام وماليتها فقد فسـد جهاز الدولة ، واصيب بالشلل والانهيار ، حيث لم تعد الاستـقامة او الكفاءة سبيلا الى الترقى فى الوظائف ، بل أصبح التملق والنفاق والمهارة فى التجسس والتقاط الاخبار ، أو تلفيقها هو السبيل الى الوصول الى كراسى الحكم ، وبذلك انتقلت معظم الوظائف الكبرى فى الدولة الى أيدى المرتشين والمتجسسين فأصبحت بعض الدوائر والوزارات تباع وتشترى فيها الوظائف والرتب والأوسمة على أيدى السماسرة والوسطاء ، كما ساءت حالة البلاد المالية نتيجة نفقات القصر ونفقات جيش العاصمة الخاص بحمايتها ، ونفقات شبكة الجاسوسية التى انتشرت بشكل مخيف الى

جانب جيوش الموظفين الذين عينوا دون حاجة اليهم أما مكافاة على خدماتهم التجسسية للسلطان ، او مقابل رشاوي للوزراء أو رجـــال القصر ، أو بواسطة السماسرة السريين ، الامر الذي أرهق ميزانية الدولة وبالتالي ميزانية الولايات التي كانت تضطر الى تقديم مرتبات العاصمة على أى شيء آخر (١٥) .

واذا كان من البدهيات ان لكل حاكم ـ أيا كان لقبه ـ مزايا وعيوب فقد انطوى حكم السلطان عبد الحميد مثالب ، وهذه حقيقة لامراء فيها مثل مذابح الارمن ، وضرب القوميات والطوائف بعضها بالبعض الاخر ـ وسيأتي الكلام عن ذلك تفصيلا ـ وتعطيل احكام الدستور فترة طويلة بلغت ثلاثين عاما (١٦) .

وقد لجأ عبد الحميد الى اعدام أو ابعاد او اعتقال بعض خصومه السياسين ولكن لايعنى ذلك أنه خصب أرض الدولة بدماء هؤلاء الخصوم او انه ملا السجون بالمعتقلين السياسيين ، أو أنه جند جيشا من الجواسيس بلغ تعداده حدا خرافيا هو ٣٠,٠٠٠ شخص ، واذا كان الاستبداد أيا كان لونه أو حجمه أو دوافعه لايحتاج الى تبرير الا انه من المبادىء المقررة فى كل دولة وعصر أن كل حكومة تنظم أجهـزة للحفظ على أمن الدولة الداخلي والخارجي ، مثل المباحث العامة ، والمخابرات الحربية وغيرها من اجهزة أمن الدولة كان عبد الحميد يعلم علما يقينا أنه توجد جمعيـات سياسية مدنية وعسكرية تعمل فى السر للتخلص منه أو للتآمر عـــلى الدولة (١٧) .

وهذه صفحات من المذكرات المنسوبة الى السلطان يتحدث فيها عن جانب من الصعوبات التى كانت تواجه الدولة وتؤثر فى سياستها وقد جاء فيها :

« كنت أعلم أن البسر عسكر عونى باشا قد اخذ من الانجليز اموالا وان رجلا من رجال الدولة يأخذ اموالا من دولة اخرى لابد وان يكون قدم خدمات ٠ معنى هذا أيضا ان خلع المرحوم السلطان عبد العزيز وتوليه السلطان مراد بدله ، لم يكن هذا فقط من حسين عونى باشا ولكنه مرضاه لرغبة دولة اخرى أيضا ٠

ومدحت باشا مثل حسين عونى اتبع سياسة مؤيدة للانجليز وكان دائما يفصح عن ثقته في الانجليز ٠

« لم يهزنى شيء في حياتي هزا ضخما قدر شخص يرتفع الى مقام قيادة الجيش أو الى مقام الصدارة العظمى ـ رئاسة مجلس الوزراء ويقبل نقودا من دولة اجنبية »٠

كانت الغوائل تحيط بالدولة في ذلك الوقت ٠ كنا فى حالة حرب مع الصرب والجبل الاسود ، والروس على وشك اعلان الحرب والدول الاجنبية التى اجتمعت فى الاستانة كانوا مؤيدين للروس ويطلبون اعطاء الارض للصرب والجبل الاسود ، والاعتراف باستقلال بلغاريا تحت اسم الاستقلال الذاتى »(١٨) ٠

أهداف حملات التشهير بالسلطان عبد الحميد :

مما لاشك فيه أن الاخطاء التى وقعت في عصر السلطان عبد الحميد الثانى لاتستحق مثل هذا التشهير العنيف الواسع النطاق الذى اقترن بسيرة ذلك السلطان المفترى عليه ٠ وان هذه الحملة استهدفت بعد عزل السلطان عن الحكم تحقيق اربعة اغراض :

كان الغرض الاول منها هو الدفاع عن اعضاء جمعية الاتحاد والترقى بعد ان نجحوا فى خلع السلطان عبد الحميد عن الحكم عام ١٩٠٩

فارادوا تبرير تصرفهم بأنهم - وهم فى زعمهم حماة الدولة - لم يكن أمامهم سوى طريق واحد هو انهاء حكمه كي تستعيد الدولة مكانتها وتسترد ولاياتها السليبة التى انتزعت منها فى عصره .

وكان الغرض الثاني هو تغطية فشلهم الذريع فى حكم الدولة سواء فى الداخل او الخارج لاقناع الرأى العام أن حكمهم لم يكن اسوا من حكم عبد الحميد الذى لم يكن فيه الفرد يتمتع بحريته أو يأمن على حياته ، وأن البلاد فى ظل هذا السلطان كانت محرومة من الحياة الدستورية خاضعة تماما للسيطرة الاجنبية .

ومن الثابت تاريخيا ان رجال الاتحاد والترقى حين استأثروا بالنفوذ ثم انفردوا بالحكم انقلبوا حكاما طغاة مستبدين من الطراز الاول ، أطلق عليهم بعض المؤرخين « رجال الطغيان العسكرى » لجأوا الى اساليب استفزازية دلت على الحماقة الشديدة والجهل بأصول الحكم (١٩) .

والغرض الثالث من حملات التشهير بالسلطان عبد الحميد عند البعض كان ابراز صورة وضيئة ناصعة البياض لعهد كمال أتا تورك « والد الأتراك » ومشايعته إذا قورن حكمه بحكم السلاطين العثمانين بعامة والسلطان عبد الحميد بخاصة اذ كان أقربهم الى اذهان الجماهير التركية لقرب عهدهم به .

وفى اعتقادنا أن ما فعله « أتاتورك » وعصابته فى تركيا اشهر من أن نشير اليه فى هذه العجالة ويكفى انه وعصابته حولوا آلاف المساجد الكبرى والصغرى عن أغراضها الدينية الى اغراض مدنية واغراض اخرى بتحويلها الى ملاهى ومقاهى ولم يشيدوا أى مسجد جديد فى عاصمتهم . وجعلوا الاجازة الرسمية فى وزارات الحكومة ومصالحها يوم الأحد

بدلا من يوم الجمعة . وأبطلوا كتابة لغتهم بالحروف العربية واتخذوا لها حروفا لاتينية ليسهل نطقها باللغة التركية .

وقرروا كذلك الاخذ بنظام الزواج المدني وتقرير حقوقه متساوية للزوج والزوجة . شهروا حربا شعواء على الحجاب بالنسبة للسيدات فوق كل هذا وذاك الغوا الغاء الخلافة الاسلامية وقطعوا صلاتهم بأقطار العالم الاسلامي وانحازوا كليا الى الغرب واتخذوا أجراءات خطيرة أخرى كان هدفها الأساسي القضاء على الاسلام في بلد كانت عاصمته يوما مقرا للخلافة الاسلامية (٢٠)

أما الغرض الرابع والأخير من حملات التشهير بالسلطان عبد الحميد فكان رغبة القائمين على الحركة الصهيونية في تدمير سيرته وتشويه سمعته انتقاما لسياسته المعادية لاهدافهم التوسعية في فلسطين .

انجازات السلطان عبد الحميد :

على الرغم من الاخطار الجسام التي أحدقت بالدولة العثمانية وبالسلطان ذاته من يمين ويسار ظل يواجه حروبا خارجية متعاقبة وأزمات سياسية عنيفة متلاحقة وثورات قوية مدمرة تضافرت بها اوربا والقوى المسيحية التي بقيت خاضعة للدولة العثمانية وكانت هذه وتلك ماضية في سياسة التآمر الى نهاية الشوط . فضلا عن معارضة داخلية نشيطة منظمة في شكل جمعيات سرية وعلنية ، عسكرية ومدنية ، اتخذت لها برامج سياسية ظاهرة للمطالبة بتنفيذ أحكام الدستور وباطنها الاحاطة بحكم عبد الحميد .. وسط هذه الصعوبات فان عصر هذا السلطان اقترن بانجازات حضارية كثيرة فقد كان له مفهومه الخاص في ادخال عناصر المدنية الى بلاده حيث لايريد من الغرب الحضارة بمعنى الثقافة

والتراث للمشرق الإسلامي حضارته المتكاملة المتفوقة على حضارتهم وان الدولة العثمانية في حاجة الى العلوم الحديثة وبالتدريج وليس دفعة واحدة .

وقد أثبت عبد الحميد حصافة سياسية وادارية حيث انه أفاد من الدول الاوربية بطريقته الخاصة في كافة الميادين التي رأى أنها تحتاج الى خبرتهم فانشأ المدارس والكليات والجامعات وأرسل البعثات العلمية الى كل من فرنسا والمانيا وعرفت الدولة في عصره سلسلة من الانجازات الهامة في مجال المواصلات والاتصالات لم تعرفها من قبل .

وقد اقام كليات للعلوم وللاداب والحقوق والعلوم السياسية وأكاديمية للفنون الجميلة ومدارس للتجارة والزراعة والبيطرة والغابات والتعدين والمعلمين العليا ، ومدارس متوسطة متخصصة مثل مدارس الصم والبكم ، وأقام مدارس عليا بمستوى الجامعات في كل من دمشق وبغداد وبيروت وسلانيك وقونيه وغيرها من المدن (٢١) .

وأما سياسته الرامية الى الربط بين البلدان الاسلامية بسلسلة من الخطوط الحديدية الحديثة فلو قدر لها الاستمرار والنجاح لكانت من أجل الخدمات التي أسداها هذا السلطان المسلم والتي نحن في أمس الحاجة اليها في عصرنا هذا (٢٢) .

وهذه شهادة للتاريخ يسجلها عالم له مكانته ورؤيته التي تستحق التسجيل هو الاستاذ الدكتور محمود صالح منسى اذ يقول :

« يمكن القول بأن ظروف الدولة في عهد عبد الحميد سواء في الداخل حيث انتشرت الحركات الانفصالية واشتد ساعدها عن ذي قبل أو في الخارج حيث اشتدت أطماع الدول الاوربية في ممتلكات الدولة

العثمانية فى هذه الظروف جميعها كان من شأنها ان تؤدى الى انهيار الدولة العثمانية من أساسها واذا أراد حاكم لدولته البقاء وانقاذها من مثل هذه الظروف فلابد وأن يلجأ الى تقوية قبضته وتدعيم حكمه ولو كان فى مكان السلطان عبد الحميد وفى نفس الظروف المحيطة بدولته حاكم آخر لما فعل الا مافعله عبد الحميد » .

« لذلك فان عهد عبد الحميد يستحق كلمة حق وانصاف على الاقل بسبب موقفه من مسألتين كان لهما أعمق الاثر على الدولة العثمانية بعامة والشرق العربى بل والعالم العربى كله على وجه الخصوص وأولهما : أنه على الرغم من توثق العلاقات بين الدولة العثمانية والامبراطورية الالمانية فى عهد عبد الحميد لم تستطع أن تجره الى ابرام معاهدة كتلك التى أبرمها معها الاتحاديون فيما بعد عام ١٩١٤ وكانت سببا فى تورط الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الاولى تلك الحرب التى كانت فرصة استغلتها الدول الاوربية للسيطرة على ماتبقى من أقطار الشرق العربى .

« وثانيهما موقف السلطان عبد الحميد من الاطماع الصهيونية فى فلسطين ذلك الموقف الذى تجلى فى أكثر من مناسبة فى أثناء عهده » (٢٣)

.. وقد أدرك السلطان عبد الحميد الاخطار الداخلية والخارجية ورأى أن الاسلام هو القوة المنشودة التى يمكنها ان تعيد للعثمانيين قسوتهم وأمجادهم وجاء على لسانه :

« ان الاسلام هو القوة الوحيدة التى تجعلنا أقوياء وتجعل أمتنا أمة حية قوية ولكن شريطة ان نصدق فى ديننا العظيم » .

موقف السلطان عبد الحميد من القوميات والطوائف :

كان للسلطان عبد الحميد موقفه من بعض القوميات والطوائف التى كان لها دورها التخريبى فى معظم اقاليم الدولة لاسيما وأنه منذ اليوم الاول الذى ارتقى فيه عبد الحميد العرش وجد أن الثورة هادرة جامحة تعم اقليمى البوسنة والهرسك يبغى سكانها الانفصال عن الدولة أو على الاقل الحصول على المزيد من الامتيازات التى تكفل لهم حكما ذاتيا مسيحيا خالصا ووجد ان الثورة لاتزال مشتعله فى بلغاريا ، وكما تاقت ولايتا الافلاق والبغدان « رومانيا الحالية » الى الاستقلال نهائيا عن الدولة العثمانية ، بدأت اليونان ترنو ببصرها الى توسيع حدودها الشمالية ، وكان لتأييد الكنيسة اليونانية اثر كبير فى اثارة الهياج على الدولة العثمانية فى البلقان وقامت الثورة فى البلقان يدفعها الشعور القومى والدينى والتدخل الاجنبى معتمدة فى المقام الاول على مساعدة روسيا وعلى مساعدة الصرب التى كانت قد استقلت فعليا عام ١٨٠٤ وتطمح هى الاخرى كاليونان الى توسيع ممتلكاتها (٢٤) .

ونظرا لتفاقم الموقف واشتعال الفتن التى اثارها الارمن كذلك والدولة فى حرب ضروس مع الروسيا لجأ السلطان عبد الحميد للحفاظ على أطراف دولته الى اخماد حركة هذه القوميات والطوائف حتى ولو كان ذلك باستخدام أقسى أنواع الشدة كما حدث مع طائفة اليزيديين فى شمال العراق ، أو باستخدام بعض العناصر ضد البعض الاخر ، فنراه يستعين بالجنود العرب فى قمع ثورة الالبان واخضاع الاكراد الثائرين ، وبالاكراد يعمل على اخماد فتنة الارمن ، وبهؤلاء يثير الفتن بين العرب للقضاء على ثوراتهم كما اتبع نفس الاسلوب فى ضرب العرب

بعضهم بعض ، اذ كان يؤيد فئة ضد أخرى ، كما حدث اثناء الصراع بين أمير نجد وأمير حائل ، فكان يعين الثاني على الاول الى ان كانت الموقعة الاخيرة عام ١٩٠٦ ومقتل ابن الرشيد أمير حائل ٠

ومن خلال الفصول التالية يمكن القاء مزيد من الاضواء حول الصراع الذي دار بين القوميتين الكردية والارمنية ودور السلطان عبد الحميد في اثارة هذا الصراع ٠

هوامش الفصل الاول
العصر الحميدى

(١) د٠ السيد محمد الدقن : دراسات في تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١١٠

(٢) رفيق شاكر النتشة : السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٠ ، ص ١١

(٣) د٠ عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، الانجلو المصرية ، ص ٢ ص ١٠٠٣

(٤) السيد أحمد بن زيني دحلان « مفتى مكة » الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، جـ ٢ ، استانبول ١٩٨٠ ، ص ٢٩٠ ٠

(٥) د٠ محمود صالح منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث مطابع دار الوزان ، المعادى ١٩٩٠ ، ص ٩٩ ٠

(٦) د٠ عبد العزيز الشناوى ، جـ ٢ ، سابق ، ص ١٠٠٨

(٧) د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى ، بيروت ١٩٨٢ ، ٢٢٤

د ٠ السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠ ـ ١٩٠٩ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠ ، ص ٥٣

(٨) د٠ السيد الدقن ، سابق ، ص ١١٠ ـ ١١١

(٩) محمد الخير عبد القادر : نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، مكتبة وهبه ١٩٨٥ ، ص ٦٢ ٠

(١٠) د٠ السيد حراز ، سابق ، ص ٥٤

(١١) بسام كرد علي وآخرون ، التاريخ المعاصر ، دمشق ١٩٥٤ ، ص ١٨٨ .

(١٢) د. محمود صالح منسى ، سابق ، ص ١٠٢

(١٣) د. السيد رجب حراز ، سابق ، ص ٥٥

(١٤) د. السيد الدقن ، سابق ، ص ١٢٢ — ١٢٣

(١٥) المرجع السابق ، ص ١٢٣

(١٦) د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، ج ٢ ، ص ١٠٠٧ — ١٠٠٨

(١٧) محمد الخير عبد القادر : سابق ، ص ٦٣

(١٨) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب عبدالحميد دار الانصار القاهرة ١٩٧٨ ، ص ص ٣٩ — ٤٠

(١٩) د. عبد العزيز الشناوى ، ج ٢ ، سابق ، ص ١٠١٨

(٢٠) المرجع السابق ، ص ١٠٢١

(٢١) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، مكتبة المنار ١٩٨٤ ، ص ص ٢١ — ٢٢ .

(٢٢) د. السيد محمد الدقن : سكة حديد الحجاز الحميدية ، ١٩٨٥ القاهرة ، ص ٦

(٢٣) د. محمود صالح منسى : سابق ، ص‌ص ١١٧ — ١١٨

(٢٤) د. محمد محمود السروجى : مصر والمسألة الشرقية فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(٢٥) د. السيد الدقن : دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية ، سابق ، ص ١٢٣ ، توفيق علي برو ، العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى (١٩٠٨ — ١٩١٤) من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ص ٣٢ — ٣٣

الفصل الثانى

الأكراد فى تاريخهم الحديث

يعتبر الاكراد من الشعوب العريقة فى الشرق الاوسط ، ولاتزال دراسة التاريخ الكردى غير وافية الامر الذى جعل دراسة اصل الاكراد وتطور تاريخهم القديم والحديث موضع خلاف بين المؤرخين ، فالبعض يشير الى أن أصل الأكراد من الساميين ، وبعضهم يرجع الأكراد الى الأصل التركى ، واخرون يؤكدون أن الصلة بين اللغة الفارسية واللغة الكردية دليل على أن الاكراد من أصل فارسى (١) ٠

وتطالعنا بعض الكتب التى تروى تاريخ الاكراد واصلهم ، بروايات غريبة هى دون شك اساطير اكثر منها حقائق ٠ فمنها على سبيل المثال :

١ ـ ان الأكراد من نسل هؤلاء الذين تشتتوا فى الجبال فرارا من قطع رءوسهم وأخذ أمخاخهم ليداوى به الضحاك « بيوراسب » خامس الملوك البيشداديين الذى جلس على عرش ايران ٠

٢ ـ وهناك اسطورة أخرى تحكى ان الكرد من نسل الشيطان وقد وردت هذه الاسطورة على لسان الكاتب والمؤرخ الاغريقى زينفون ٣٥٤ ق٠م وهو من تلامذة سقراط فى كتابة « أناباسيس » والاسطورة منقولة عن الفارسية وتزعم ان سالامون « سليمان عليه السلام » بعث يطلب فى حينه أربعمائة من الفتيات الحسناوات من الشرق ٠ وحسبما تروى الأسطورة فان العفاريت والشياطين أسروا له هؤلاء الفتيات فى شمالى بلاد مابين النهرين ولكن سليمان اصدر أمره قائلا أكردوهن الى الجبال والاودية وان الكرد من نسل هؤلاء (٢) ٠

وبعيدا عن الأساطير التي لا قيمة لها في ميدان التاريخ نرى بعض الكتاب المسلمين من الأكراد والعرب يرجعون نسبهم « الكرد » الى العرب ولكنهم يختلفون فيما بينهم في هذا الأصل العربي ٠

جماعة ينسبونهم الى ربيعة بن بكر بن وائل وان ربيعة ومضر بعد أن اختصموا قديما انصرفوا الى الجبال والاودية وحاربوا من هنالك الامم الساكنة بالمدن ٠

ويرى استاذنا الدكتور بدوى عبد اللطيف عوض ان الاكـــراد ينسبون الى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان وقيل : هم من ولد عمر ومزيقيا بن عامر ماء السماء وقيل انهم من بني حميد بن طارق الراجع الى حميد بن زهير بن الحارث بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب (٣) ٠

وهناك شبه اتفاق أن الكرد انفردوا من قديم الزمان عن العـــرب لاسباب مختلفة لا داعي لذكرها هنا ٠

ولو أن هناك من يرى أن الشعب الكردي هو أحد الاقوام الهندية ـ الايرانية ٠ قدم الى كردســتان في الوقت الذي قدم فيه الميديون الى ميديا والايرانيون الى ايران ٠

ويستند أصحاب هذا الرأي الى أن النقوش الاشورية التي يرجـع تاريخها الى ماقبل سنة ٦٥٠ ق٠م لاتذكر شيئا عن الكرد ٠

ويعتقد عصمت باشا « اينونو » رئيس وزراء تركيا الســـابق أن الكرد من الطورانين وأن الابحاث الحديثة ترجع الأكراد الى فجر التاريخ وقت أن كان يطلق عليهم « لوتو ـ جوتو » فالأولى تفيد المحارب والثانية تطلق على القبائل الطورانية ٠ ..

ويرجع احد المؤرخين الاكراد الرأى القائل ان الاكراد آريون خلص من صميم أبم « جنس اوربي » ويستند الى ما جاء في دائرة المعارف البريطانية لسنة ١٩٢٩ ماترجمته هكذا :

« ترجع أقدم المصادر المعروفة عن الاكراد الى السجلات السومرية وهذه تقول ان شعبا يعرف بالكرتو او الكرتى كما عرفه السومريون بعد ذلك كان يقطن حوض دجلة الاوسط في القرون العشرين قبل الميلاد وكانت حدود الكوتى اذ ذاك تبدأ من بهتان حول جبل الكوى وهو المعروف بالجودى الوارد ذكره في القرآن الكريم ٠

واذا كان اختلاف المؤرخين حول نسب الاكراد الى اى من الاصول الآرية او التركية او العربية « ربيعةاو مضر » فان هناك اتفاقا اكبر على نسبة الاكراد لاصول آرية وذلك بوصفهم نتاجا لاختلاط قبائل زاجروس والقبائل الهندو – اوربية التى أخذوا عنها لغتهم بلهجاتها الكثيرة والمتنوعة (٤) ٠

موطن الاكراد

تضاربت اقوال المؤرخين في وطن الاكراد الاصلى بنفس القدر الذى كان الاختلاف بينهم حول اصل الاكراد ونسبهم فبعضهم يرى أن موطنهم بين منابع الزاب الكبير ونهر دجلة في جنوب بحيرة وان ٠ وان منازل الشعب الكردى ومأواه كانت تمتد من الخليج العربى حتى بحر قزوين (٥) ٠

ويكاد يكون هناك شبه إتفاق على أن البلاد الكردية لم تكن تذكر باسم خاص بها يشمل أجزاءها المتفرقة وانه لم تكن هناك وحدة

ادارية تحت اسم « كردستان » ولم تقم دولة كردية واحدة تجمع الأكراد في وطن واحد ، على الرغم من قيام دويلات وامارات كردية في مراحل مختلفة كما سيأتي :

الموقع الجغرافي لكردستان :

يقع كردستان وطن الشعب الكردي في جنوب غربي قـــارة آسيا حيث يحدها من الغرب وسط الاناضول ، ومن الشرق ايران ومن الشمال أرمينيا والقوقاز ، ومن الجنوب يحدها خوزستان في ايران فجبل حمرين في العراق سنجار حتى ساحل اسكندرونه حيث يربطهـا بحدودها الغربية مدينتي أطنه وسيواس في الاناضول وجدير بالذكر ان ارض كردستان منقسمة الان بين خمسة دول هي : تركيا والعـــراق وسوريا والاتحاد السوفيتي •

أما القسم الإكبر من اراضيها فكان من نصيب تركيا بعد تفتيت وتقسيم العالم الاسلامي في أعقاب الحرب العالمية الاولى • والجزء الذي تسيطر عليه تركيا يطلق عليه غرب كردستان وهو يقع في شرق وجنوب شرق تركيا • وأما العراق فيسيطر على جنوب كردستان بما يسمى الان شمال العراق • وأما ايران فتسيطر على شرق كردستان بما يسمى جنوب غرب ايران وسوريا تسيطر على جزء صغير من جنوب غربها ويســيطر الاتحاد السوفيتي هو الاخر على جزء من أقصى شمالها وهو منطقة ايروان وما حولها ودهوك والموصل وكركوك والجزء الايراني كرمنشاه وهماوند وفي القسم وما حولها(٦) •

ومن أهـم مـدن كردســتان في الجزء التركي : ديار بكر « آمد » وأرضروم ووان وقارص وأردهان وفي كردستان العراق مدن السليمانية واربيل والجزء الايراني كرمنشاه وهماوند وفي القسم السوري قامشلي أما في روسيا فمدينة ايروان من أهم مدنها •

ويمكن القول بصفة عامة ان ارض كردستان من اخصب الاراضي في المنطقة وتتوفر فيها الكثير من المعادن والمحاصيل الزراعية · وهي ايضا ذات موقع استراتيجي هام ·

تعداد الاكراد :

كما اختلفت الاقوال وتضاربت في كل مايتعلق بالاكراد · اختلفت كذلك في تعدادهم فهناك من يصل بتعداد الشعب الكردى الى سبعة ملايين كصاحب الشرفنامة · وهناك من يقدرهم بنحو ٣ ملايين كما ورد في التقرير البريطاني بمناسبة دخول العراق الى عصبة الامم اما المرحوم محمد امين زكي - الوزير الكردى السابق - فيقدرهم بنحو اربعة ملايين و ٦٠٠ الف نسمة (٧) ·

وهناك تقديرات معاصرة تصل بهم الى عشرة ملايين بينما يقدرالاكراد انفسهم في هذه الايام بعشرين مليونا بما فيهم المهاجرون الى بعض الدول الاوربية والولايات المتحدة ·

واذا كانت بعض هذه الاحصاءات تفتقر الى الدقة وتميل الى المبالغة فقد قررت لجنة عصبة الامم التي تشكلت للنظر في مشكلة الموصل الى عدد اكراد الشرق الاوسط في الفترة التي سبقت عام ١٩١٤ م « ٣٫٢٠٠٫٠٠٠ » موزعون على النحو التالى :

- في تركيا حوالى ١٫٥٠٠٫٠٠٠
- في ايران ٩٠٠٫٠٠٠
- في العراق ٥٠٠٫٠٠٠
- في سوريا وغيرها ٣٠٠٫٠٠٠

أما المؤرخ الكردى محمد امين زكي فيقدرهم في العشرينات بـ « ٤٫٦٨٠٫٠٠٠ » موزعون على النحو التالى :

- ايران ٢٠٠٠٠٠٠٠ر٢
- فى توكيا ٠٠٠ر٥٠٠ر١
- فى العراق ٠٠٠ر٦٠٠
- فى الاتحاد السوفيتى وسوريا ٠٠٠ر٢٣٠
- فى بلوخستان والهند ٠٠٠ر٣٠٠

القبائل والطوائف الكردية

ينقسم الاكراد الى قبائل وطوائف عديدة اهمها :-

الجوزقان - والزوم واللر والجلالية والكورانية والهذيانية والكيكانيه ، والجاك ، واللو والدنبلية والروادية والديسنية ، والهكاريه والحميدية المركتجية والمروانية والشنبكية والجوبى والزرزارية .

يعدد القلقشندى طوائف اخرى من الاكراد الذين تفرقوا بعد اجتماع وتذكر خمسة وعشرين موضعا آخر يقطنها الاكراد الذين كانوا يأخذون من القلاع مراكز لهم ويعدد غير هؤلاء من المؤرخين المعاصرين أسماء قبائل اخرى من قبائل الاكراد فى العراق وتركيا وايران .

ويمكن القول ان هؤلاء الاكراد بصفة عامة قد انقسموا الى قسمين شمل أولهما أفرادا وقبائل لم تكن خاضعة لسلطة منظمة أو خارجه بل كانت تقوم باعمال السلب والنهب وتحتمى بقلاعها الجبلية اذا ما دهمها الخطر .

أما القسم الاخر فقد استطاع ان يشكل عددا من الامارات تختلف فى نظمها واحجامها . فهناك امارات واسعة تناوب الامراء الاكراد على حكمها بالوراثة . وهناك امارات مدن صغيرة متفردة كان حكمها ينتقل بين حين وآخر للامير الأقوى من بين الاكراد(٩) .

ومن حيث نمط الحياة التى يحياها الاكراد فنجدهم ينقسمون الى حضر ورحل وشبه رحل ، فالاراضى السهلة فى أربيل والسليمانية كانت ماهولة فى قسمها الأغلب بقبائل كردية حضرية فى حين أن المناطق الجبلية تقطنها قبائل متنقلة وشبه متنقلة .

وهناك بعض القبائل الكردية الحضرية مجزأة بين تركيا وايران فى حين أن بعضها الآخر ينتقل من بلد الى آخر .

ويعلق بعض المؤرخين على هذه التقسيمات بقوله : ان خارطة توزيع القبائل الكردية معقدة للغاية كالقضية الكردية نفسها .

وتكشف التنقيبات الأثرية الأخيرة أن الأقوام والجماعات البشرية التى هاجرت الى كردستان اختلطت وانسجمت مع السكان الأصليين فليس هناك فى العالم جنسا نقيا ، فلا يشترط فى تكوين الشعوب والقوميات وجود حدود سياسية لها فهناك قوميات وأمم وشعوب كبيرة تتعايش على أرض مشتركة دون الحاجة الى حدود سياسية منفصلة .

اللغة الكردية :

على الرغم من اختلاف المصادر فى أصل الأكراد وموطنهم الا أن هناك شبه اتفاق على أن اللغة الكردية ترتبط باللغة الفارسية الى حد كبير وأنها فى البداية من أصل هندى أوربى مثل الفارسية ولكنها تطورت لتصبح اليوم مستقلة لها أبجديتها وقواعدها الخاصة .

ويؤكد المؤرخ الكردى محمد أمين زكى أن اللغة الفارسية والكردية وان اتصلت احداهما بالأخرى الا أنهما يختلفان عن بعضها البعض فى المفردات وتركيب الجملة والنطق .

فالكردية تنتمي الى مجموعة اللغات الشمالية الغربية في ايران بخلاف الفارسية الحديثة التي تنتمي الى مجموعة اللغات الجنوبية الغربية من هذه البلاد(١٠) .

وتنقسم الكردية الى اللهجتين الرئيسيتين :

١ ـ الكرمانجية الشمالية ويتكلم بها نحو ¾ الكرد وخاصة المقيمين في تركيا وايران والاتحاد السوفيتي وسوريا .

٢ ـ الكرمانجية الجنوبية ويتكلم بها معظم أكراد العراق وايران وقد بذلت محاولات عديدة للتقريب بين اللهجات الكردية لتصبح اللغة الكردية لغة التخاطب والكتابة للأكراد في كل مكان .

ومنذ أن دخل الاكراد الاسلام حوالي عام ٦٣٦ وشملتهم الدولة العربية ضمن حدودها واحتفظوا بدينهم الاسلامي طيلة ثلاثة عشر قرنا منذ ذلك الوقت وهم يقرأون القرآن الكريم باللغة العربية ، ويتعلمون أصول دينهم بها ، ثم طغت المفردات العربية على لغتهم الاصلية وصارت تكون ثلاثة أرباعها وهي تكتب مثل الفارسية بحروف عربية(١١) .

انتشار الاسلام بين الأكراد :

وجهت حملات العرب المسلمين في صدر الاسلام الى العراق وايران منذ عام ١٣ هـ وبعد الانتصار على الفرس في القادسية تراجع هؤلاء الى كردستان الجنوبية وكان معهم الأكراد ثم تقدمت الجيوش الاسلامية الى نهاوند حيث كانت الموقعة الفاصلة بينهم وبين الفرس أما الأكراد فقد انسحب معظمهم الى الجبال ومع تقدم قوات الجهاد الاسلامي الى القوقاز وارمينيا وأطراف كردستان دخل معظمهم في الاسلام وظهر منهم كثيرون من أبطال الاسلام ويكفيهم فخرا أن يكون صلاح الدين الأيوبي محرر بيت المقدس وقاهر الصليبيين من الأكراد(١٢) .

وينقسم الأكراد حاليا من الناحية الدينية الى ثلاثة أقسام :

ـ المسلمون السنيون :

وهم يكونون الغالبية العظمى من الأكراد شافعيو المذهب عرفوا في تاريخهم بالتضحية في سبيل الاسلام والجهاد لرفع رايته . ولقد اندمجوا في المجتمع الاسلامي اندماجا كاملا ولعبوا دورا كبيرا في سياسة الدولة الاسلامية وشاركوا في تقرير مصيرها كما شاركوا في الجهاد ضد المغول عند ما اكتسحت جحافلهم الشرق الاسلامي .

كذلك أسهم الأكراد مساهمة جدية في فترة التقلبات السياسية التي حدثت في المنطقة في القرون الستة الأخيرة وكانوا دوما بجانب الفريق الذي ينتصر للاسلام ويحارب من أجله وفي سبيله أو باسمه .

فالاسلام بالنسبة للأكراد ، كان دائما رسالة وقوة حضارية حققت تطورهم السياسي والاجتماعي .. وكان الاكراد دائما مستعدين للمحاربة ذودا عنه .. وعملا على انتشاره .

ولقد ظهرت بين الأكراد كثير من الطرق الصوفية أمثال النقشبندية في القسم الشمالي الشرقي من العراق وتركيا والقادرية نسبة الى عبد القادر الكيلاني في القسم الجنوبي الشرقي(١٣) .

٢ ـ طائفة اهل الحق أو جماعة « علي الهي » :

هذه الطائفة الكردية من أغرب الطوائف في معتقداتها فأهالي كردستان الشرقي يعتنقون عقائد غريبة كانت معهم قبل ظهور الاسلام ولم تتغير بعض هذه العقائد كثيرا بعد دخولهم في الاسلام وخضوعهم لسلطان الدولة الاسلامية وظلوا يعتقدون في تناسخ الآرواح وعبادة الشمس وبظهور مذهب الشيعة وجد هؤلاء القوم فرصتهم الذهبية ذ

أخذوا يغالون فى تعلقهم بالامام على بن أبى طالب رضى الله عنه الى أن وصلوا به الى درجة التأليه والعبادة • ويبررون هذا اللغو والكفر قائلين :

« بما أن سيدنا جبريل ظهر في صورة « دحية الكلبى » فهذا دليل على إمكان ظهور الروحانية في ثوب الجسمانية • وقد حلت الصورة الالهية في جسد على تفضلا على الانسانية ورفعا لقدره ومكانته »(١٤) •

ويتمادى هؤلاء الحمقى في ضلالهم وغيهم فيقولون :

إن النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) أرسل الى البشر هاديا من قبل (على) •

وتبدأ هذه السفاهات الحقيرة بفكرة خبيثة بثها « حمار » كردى مفادها « أن القرآن المتداول الآن بين الناس لا يعتد به لأنه ليس كالقرآن الذى أوحاه (على) الى النبى — صلى الله عليه وسلم — وقرآن على قد حرقه وأباده أبو بكر وعمر وعثمان — رضى الله عنهم — ثم وجعلوا مكانه هذا القرآن المتداول بين الناس الآن » •

بالاضافة الى هذا الكفر الصريح الذى بثه هذا الحمار فقد اختلق أشياء أكثر سخفا وبثها فى الناس وتمكن من خداعهم وجعلهم يثقون به ثقة عمياء فأقدم عندئذ على احراق جميع المصاحف التى وقعت فى يده •

ويذهب هذا التغرير بالعقول الى حد قيام أفراد هذه الطائفة بعبادة الشمس حيث ان الذين تسلطوا على عقولهم بهذا الكفر المبين يدعون أن « عليا » — كرم الله وجهه — رفع الى السماء حتى اندمج فى الشمس فلما رسخت هذه العقيدة فيهم وتم لهم ما أرادوا من عبادة الشمس كما كانوا يعبدونها من قبل ظهور الاسلام لم يروا مانعا من أن يتعلقوا بها ويزعموا أنها احدى العقائد والنحل الاسلامية •

وأغرب ما في عقيدة « أهل الحق » - أو أهل الباطل بمعنى أدق - انهم يمنعون ويحرمون على الناس أكل اللحوم وفي ذات الوقت يحللون ويحرضون أتباعهم وأنصارهم على أكل لحوم خصومهم ولا سيما الذين يعلنون عن حبهم للخلفاء الراشدين - أبو بكر - عمر - عثمان - بل ويؤيدون عقائدهم الفاسدة ونحلهم هذه بتأويل آيات من قرآنهم المزعوم (١٥) .

وبقليل من التفكير في هذه السخافات والخرافات لهذه الطائفة الكردية التي يسمى أصحابها أنفسهم « أهل الحق » نرى أن اليهود ضالعين في اشاعة مثل هذه الاتجاهات الهدامة فقد ورد في تلمودهم أو « بروتوكولاتهم » بأن اليهود هم السبب والأصل في خرافة « أهل الحق » وأن هدفهم محو الديانات كلها .

٣ - اليزيديون عبدة الشيطان :

وهم طائفة من الأكراد يقيمون في قضاء الشيخان (شمال شرقي الموصل) ومنطقة سنجار وقسم منهم يسكن في منطقة القوقاز بالاتحاد السوفيتي . وعددهم الآن يقترب من المائة ألف ويلقبون بـ « عبدة الشيطان » حيث يرمزون له بكلمة « طاووس ملك » ويعتقدون أنه اله يتصرف كيف يشاء ويصيب الناس بالأمراض والأذى ، كما يسبغ عليهم نعمة الصحة والرخاء وشعار الشيطان عندهم طائر شبيه « بالطاووس » (١٦) .

وهم لا يلفظون بكلمة الشيطان ويتحاشون النطق بحرف (ش) و (ط) الدالين على الشيطان والسبب في ذلك كله أن اليزيديين يقولون بوجود الهين . « اله النور » و « اله الظلام » أو « اله الخير » و «اله

الشر » وحيث أن « اله الخير » لا نهاية لرحمته لأنه خير مطلق لا يصدر عنه شر لأحد ، ولذلك فلا لزوم لعبادته ٠

بعكس الشيطان ـ الذى هو « اله الشر » والـذى هو شر مطلـق ـ وعلى هذا الاساس تكون عبادته واجبة اتقاء لشره وخوفا من نقمته ٠

واليزيدية مذهب قديم ينسبه البعض الى مدينة « يزدم » ويدعى أصحابها بوجود اله يدعى « يزد » أو « يزدان » كما ينسبها البعض الى العالم المسلم الفاضل الشيخ « عدى بن مسافر الاموى » ثم انحرفت بعد موته على يد أحد أحفاده عن الاسلام ورجع أتباعه الى عقائدهم القديمة ٠

واليزيديون يسجدون للشمس عند شروقها وعند غروبها ويقدسون عدى بن مسافر ويزيد بن معاوية الذى يزعمون انتسابهم اليه (١٧) ٠

أما عاداتهم وتقاليدهم فهى عجيبة وغريبة فهم يكرهون اللون الأزرق ولابســه ، كما يكرهون أكل الخس والقرع والسـمك والغزال أشـد الكراهية ولليزيديين كتابين يزعمون قداستهما وهما :

(كتــاب الحلوة) ومعناه الخلاص والكتاب الاســـود (مصحف رش) (١٨) ٠

ومن أقدس الأماكن عندهم « قبر الشيخ عدى » فى باعذرى ويقيمون له معبدا فخمـا مطلى باللون الأبيض وحول المعبـد مجموعة مبان أعدت لايواء اليزيدية فى موسم الحج (عنـــدهم) وتراب المكـان مقـــدس يعجنون منه أقراصا يكسرون واحدا منها لتبريك الزوجية ، وتوضع قطعة منها فى فم الميت قبل الدفن(١٩) ٠

وفى رســالة لمحمد أمين العمرى ابن خير الله العمرى كتبها سـنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤) نحوى أبحاثا شتى ورد فيها عن اليزيدية ما نصه :

« وأعلم أن فى بلادنا طائفة يقال لهم الداسنية واليزيدية يسكنون فى القرى والبرارى ويكونون فى ناحية حلب والشام وغيرها يسجدون للشمس ويعبدون الشيطان ويعتقدون فى الشيخ عدى الالوهية ، ويبيحون الزنا ومنهم قطاع طريق يخيفون ويحيقون وقد كثر شرهم ونماضرهم ومن مذهبهم سب الحسن والحسين وشتم آل البيت وبعضهم لهم واباحتهم قتل المسلمين ونسبتهم الى يزيد بن معاوية ، ووجدت بعضهم يقولون أنهم منسوبون الى (يزيد بن أنيسة) وما أدرى من هو ·· وهم مشركون بلا شبهة · ·وهم أشد كفرا من الرافضة لاشراكهم بالله وعبادة الشيطان ·

والجواب فيهم كالجواب فى الرافضة فيقتلون أو يسلمون ، ولا يسترقون ، ولا يجوز أن يقروا على ردتهم بين المسلمين ، وقد صدرت أكثر من فتوى باباحة قتلهم وسبى دراريهم ونهب أموالهم واسترقاق نسبائهم(٢٠) ·

والكلام عن اليزدية احدى الطوائف الموجودة فى الوسط الكردى يطول ويستعصى على الاختصار خاصة وقد التقيت بالكثيرين منهم فى الموصل ووجدت اصرارا على كفرهم وعبادتهم للشيطان واعلان بغضهم الشديد للمسلمين(٢١) ·

تاريخ الاكراد السياسى :

نظرا لاهمية موقع كردستان وغناها الاقتصادى أصبحت عرضة للغزوات مختلفة وخضعت على مدى تاريخها للامبراطوريات التالية :

١ ـ السلوقين : لمدة ٢٠٢ عاما من سنة ٣٣١ ق·م الى سنة ١٢٩ ق·م ·

٢ - الفارتين : لمدة ٥٧٣ عاما - من سنة ٢٤٧ ق.م الى سنة ٣٢٦ ق.م .

٣ - الساسانين : لمدة ٣١٠ عاما من سنة ٣٢٦ م الى سنة ٦٣٦ م .

٤ - العرب : لمدة ٦٢٢ عاما - من سنة ٦٣٦ م الى سنة ١٢٥٨ م.

٥ - المغول والتركمان : لمدة ٢٥١ عاما - من سنة ١٢٥٨ الى ١٥٠٩ .

٦ - العثمانيون والصفويون : فى القرن السادس عشر حيث استولى العثمانيون على ثلاثة أرباع كردستان واستولى الفرس على الربع الباقى (٢٢) .

وتاريخ الاكراد السياسى ينبىء عن جلدهم وكفاحهم وشدة مراسهم فى الحروب وقد بلغوا أوج عظمتهم حين ظهر صلاح الدين الايوبى الذى ينسب الى أصل كردى والذى وحد بين مصر وسوريا وشمال العراق وأسس دولة الايوبين فى مصر فى القرن الثانى عشر واستطاع بفضل هذه الوحدة أن ينتصر على الصليبيين فى حطين عام ١١٨٧ وهى التى مهدت الطريق لطرد الصليبيين نهائيا من الشرق فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى وعلى الرغم من عدم قيام دولة كردية واحدة تجمع شتات الاكراد فى وقت واحد وفى وطن واحد مستقل له كيانه السياسى وتحت حكم رجل واحد من الاكراد .

لكن هذا لا يمنع أن هناك بعض الامارات الكردية التى كانت تابعة لاحدى الامبراطوريات الكبيرة ويحكمها اما شخص كردى واما غريب عن الاكراد ولكنه نجح فى استمالتهم الى جانبه لمساعدته فى الاستقلال بامارته وهناك بعض الاسر الكردية التى حكمت بعض البلاد غير الكردية

مع بقائها تابعة للدولة الام ولعل أوضح مثال لذلك الأسرة الأيوبية التي قدمت من تكريت (٢٣) .

ومن أشهر الحكام الاكراد في التاريخ الوسيط والحديث :

احمد بن مروان الكردى :

هو أول كردى حكم ديار بكر والجزيرة بعد أن علا شأنه في عهد الخليفة العباسي القادر بالله احمد بن اسحق بن المقتدر بالله جعفر ... وقد انعم عليه الخليفة بلقب نصر الدولة وطالت مدة حكمه الى اثنين وخمسين سنة وتوفى عام ١٠٦١ عن ثمانين عاما .

وقد حكم ابن مروان جزءا كبيرا من كردستان (٢٤) .

وهناك من الاكراد غيره حكموا مناطق من كردستان وبعضهم حكموا بعض المدن ولم يكونوا مستقلين وان ضربت العملة باسماء بعضهم الآخر .

فالذين أشتهروا بالبأس من الاكراد وتمكنوا من ان يحكموا كانوا يسمون باسم عشائرهم مثل الحكارى والهرانى والبابانى والاردلانى .

وهناك الحكام الذين يمتلكون القلاع والمدن فمشهورن بتلك القلاع والمدن فيقال حاكم بدليس وحاكم حصكيفا وهناك الامارة البابانية التى اسسها « بابا سليمانى » الكردى فى بلدة شهر بازار فى أوائل القرن ١٨ وهو الذى بنى مدينة السليمانية والذى يعنينا أن معظم هذه الامارات لم يعمر طويلا وانتهى بالقضاء عليها بعد فترة من الزمن .

ويفسر المؤرخ الكردى محمد أمين زكى هذا الاخفاق بقوله :

« وخلاصة القول أن جميع الحركات الاستقلالية التى قام بها

الكرد منفردين وهم متدابرون ومتخاذلون لم تكلل بالنجاح لطبيعة الحال وكان العامل الاكبر في هذا الاخفاق والفشل هو التخاذل والتحاسد القومي لا غير ... » .

ثم يستطرد :

والعامل الاكبر والاوحد في أخفاق الثورات والحركات الكردية هو الجهل المتفشي بين أفراد الشعب الكردى ورجال العشائر وعدم أدراك الزعماء والامراء القائمين بأمرهم حقيقة الظروف والاحوال المحيطة بهم ... » (٢٥) .

الاكراد والدولة العثمانية :

ظل الاكراد في مطلع العصور الحديثة عرضة للغزو من جانب العثمانين تارة والصفويين تارة أخرى ، حتى تغلب العثمانيون في عهد سليم الاول على الشاه اسماعيل الصفوى وخضع الاكراد للعثمانين الى أن تمكن السلطان سليمان القانوني من دخول العراق والاستيلاء على بغداد عام ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م وطرد الصفويين من العراق . وقد اعترف سليمان ، كما هو ديدن الدولة العثمانية قبله بالعصبيات المحلية القائمة بما في ذلك العشائر العربية التي اقتسمت السناجق والمشيخات وأبقى السلطان حكم كردستان في البيوتات الكردية الحاكمة ، وجعل الموصل ايالة قائمة بذاتها تمتد نفوذها ليشمل بعض المناطق الشرقية من كردستان حتى « يأنه » بينما تصل حدودها الجنوبية الى تكريت والى ما وراء جبل حمرين بقليل .

وقد أدى تماس حدود الموصل مع منطقة كردستان الى عدم

وضوح حدودها حتى النصف الثاني من القرن ١٦ الميلادي عندما أصبحت كردستان ايالة تعرف باسم « شهر زور » التي كانت مجالا واسعا للعمليات العسكرية من جانب ايران وبخاصة امارة « أردلان » القوية التي كانت تدعي السيادة على كردستان(٢٦) .

وقد دعت الحاجة السلطان العثماني الى انشاء أمارة « شهر زور » في كردستان لتكون السلطة العثمانية أكثر قدرة على رقابة الحدود العراقية لجبال كردستان وبذلك لا نستطيع السيطرة التامة على امارات كردستان . على الحدود الايرانية ولما كان هدف العثمانيين وشغلهم الشاغل هو ضمان قيام الايالات بارسال الاموال الى الباب العالي دون أن يزعجها الباشوات بمشكلات خطيرة فقد عهدت لوالي بغداد بحق عزل ونصب باشوات كردستان التي عانت من هجمات الايرانين المتكررة ومن الصراع المزمن بين أمراء الاكراد الذين كانوا يستغلون الى أبعد مدى موقع بلادهم بين أملاك السلطان العثماني والشاه الصفوي (٢٧) .

ولما كانت قوات والي بغداد من القلة والضعف بالدرجة التي لا تمكنها من التغلب على تمرد باشوات الكرد أو منعهم من الاستعانة بالايرانيين فقد عمل ولاة بغداد على تفتيت القوة الكردية بتأليب امرائها على بعضهم البعض ولم يشذ أحد من ولاة بغداد خلال الحكم العثماني عن هذه القاعدة التي أصبحت أساسا من أسس السياسة العثمانية تجاه كردستان والتي تسببت في استفحال المشكلة الكردية الايرانية مما عرض العراق لأزمات حادة ومن جهتها لم تتوان ايران عن استخدام العصبية الكردية الواقعة في مناطقها لاثارة الفوضى في امارة «شهرزور» وكان موقف حكومة ايران غالبا هو موقف المهاجم المبادر في كردستان وغالبا ما كان الموقف ينتهي بطرد الايرانيين على يد ولاة بغداد بيد أن

المتاعب التي سببتها « كردستان » لوالي بغداد كانت تعادلها في بعض الأحيان ميزة استخدام القوة الكردية ليضرب بها العرب المتمردين أو يضرب بها خصومه من المطالبين بباشوية بغداد وان عد ذلك من أسباب ضعف سيطرة بغداد على كردستان(٢٨) ٠

وفي عهد « كريم خان » شن الايرانيون هجماتهم على كردستان ومالت العصبية الكردية في شهرزور اليه لكونه كرديا ووجد كريم خان فرصته للتدخل عبر النزاع الأسرى العنيف الذى كان لا ينقطع بين البيوتات الكردية الحاكمة (٢٩) ٠

ولم تستطع الدولة العثمانية أن تفعل شيئا حيال الغزو الايراني لانشغالها في الحرب مع روسيا القيصرية في عهد « كاترين الثانية » كما لم تستطع قوات والي بغداد (عمر باشا) حولا ولا طولا لا سيما وقد أرهق الشعب العراقي من جراء وباء الطاعون الذى اجتاح البلاد ٠

الامارة البابانية :

يشير البدليسي الى الامارة البابانية بشيء من التفصيل حيث يرى أنهم من « لاهيجان » وأنهم استوطنوا بالقرب من سهران ووسعوا امارتهم على حساب الامارات المجاورة حتى شملت كركوك التي أصبحت تدار من قبلهم وكان بيير بوداق أول زعيم للأسرة البابانية وعندما توفي في عام ١٥٠٠ خلفه ابن أخيه « بوادق بدرسيم » الذى حكم سنتين ، وبوفاة هذا انقرضت الأسرة البابانية الأولى وحكم بعدها أتباعهم وبعد صراع داخلي وثورات كردية آل الامر في النهاية الى بابا سليمان الذى يعتقد كل من مون كريك ومحمد أمين زكي أنه المؤسس الحقيقي للامارة البابانية والذى نظم شؤونها وضم قلعة قره حولان الى حكمه واتخذها مركزا له وقد امتد نفوذه الى حدود كركوك وعلى الرغم من أن والي بغداد حسين

باشا قد جرد حملة ضمت اضافة الى قواته قوات غير نظامية من العمادية لكنه مع ذلك أخفق فى طرد سليمان بابا من كركوك لتظل تحت السيطرة البابانية الى ١٧٠١م (٢٩) .

لقد وصلت هذه الامارة الكردية الى أوج قوتها سنة ١٧٠٣ عندما تولى حكمها بكر بك الذى وسع حدود الامارة التى امتدت من ديالى حتى الزاب الصغير ولكنها بدأت تتقلص مرة أخرى نتيجة حملات حسن باشا والى بغداد ١٧٠٤ . وقد تفاوت ولاء هذه الامارة بين العثمانيين من جهة والصفويين من جهة أخرى (٣٠) .

ومن أمراء الامارة البابانية المشهورين عبد الرحمن باشا البابان الذى تولى الامارة سنة ١٧٨٨ وكان يطمع فى تأسيس حكومة كردية مستقلة فى العراق واشتبك مع الولاة العثمانيين فى عدة معارك وكاد ينتصر عليهم فى احدى معاركه الفاصلة مع قوات والى بغداد لولا خيانة اخوته وانضمامهم للقوات العثمانية .

وكان تمرد عبد الرحمن باشا سنة ١٨٠٥ حين أغرت ايران عبد الرحمن بالتمرد على حكومة بغداد ثم أخذت تتوسط له حين شددت قوات بغداد الخناق عليه واضطر الى الفرار نحو الأراضى الايرانية حين خصصت له ولاتباعه مقرا فى (سقز) بالقرب من كرمنشاه ووصل الأمر أن أرسل الشاه فتح على القاجارى مبعوثا الى والى بغداد يطلب العفو عن عبد الرحمن البابانى واعادته الى منصبه . ولما رفضت الوساطة اتخذت ايران موقفا سياسيا مضللا فقد تظاهرت أمام مبعوث والى بغداد بحرصها على الحفاظ على العلاقات بين البلدين فى نفس الوقت الذى اتفقت فيه سرا مع عبد الرحمن البابانى على احتلال المنطقة الكردية ووضع تحت تصرفه مبلغا من المال وعددا من القادة ، فتقدم عبد الرحمن نحو

السليمانية على رأس قوة كبيرة في نفس الوقت الذي تقدمت فيه قوات ايرانية يتولى قيادتها أحد أبناء الشاه حتى وصلت الى مدينة السعدية وأخذت تغير على القرى المجاورة لها وتنهب سكانها .. واضطر والي بغداد الى الموافقة على تعيين عبد الرحمن البابانى متصرفا للسليمانية .. ولسبب الموقف الايرانى ظلت المنطقة الكردية مضطربة فيما حاول ولاة بغداد اعادة الامن والاستقرار اليها(٣١) .

الامارة البهدينانية :

أصلهم من شمدينان الا أنهم استوطنوا قلعة العمادية وقد شمل حكمها العمادية وزاخو وعقرة والرجل الذى جاء بهم الى العمادية هو بهاء الدين ، لذا اشتهرت هذه الامارة باسم الامارة « البهدينانية » ويقال انهم من نسل الخلفاء العباسيين ، ولذا تعرف باسم « الامارة العباسية » نسبة الى أحد أحفاد الخليفة المستعصم العباسى ومن أشهر حكامها « حسن ابن سيف الدين » الذى عرض ولاءه على الشاه اسماعيل الصفوى فأمره حاكما على العمادية وقد وسع نفوذه فاستخلص قلعة دهوك من أيدى الطائفة الداسنية وأضافها الى ولايته .

وفى عهد حسين بك عرض ولاءه على السلطان سليم الأول الذى أقره حاكما على العمادية وصار يعتمد عليه فى كبح جماح الأكراد الموالين للدولة الصفوية(٣٢) .

وفى عهد السلطان مراد الرابع تشير المصادر الى أن هذه الامارة لم تقم بحركات مضادة للعثمانيين بل على العكس من ذلك اشتركت مع قوات السلطان مراد فى حملته على بغداد سنة ١٦٣٨ .

ويمكن القول ان هذه الامارة لم تثر مشاكل بوجه العثمانيين خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر على الرغم من توتر العلاقة بينها وبين والي بغداد حسين باشا الذى كان يتطلع الى توحيد العراق تحت سيطرته ولكن عندما دب الضعف في جسد الامارة البهدينانية وخاصة بعد ظهور الاسرة الجليلية في الموصل والتي كان عليها أن تمارس ضغطا مستمرا على الامارات الكردية حتى تضمن ولاءها للدولة العثمانية دخلت الامارة البهدبنانية عصرا جديدا(٣٣) ٠

فعندما ضعفت الامارة البابانية استولى ميركور - أمير راوندوز على العمادية ففر اسماعيل البهدبناني المطالب بحكم العمادية ، الى محمد اينجة بيرقدار والي الموصل الذى كلفه بالتعاون مع « علي رضا ورشيد » في القضاء على حكم ميركور وبعد نجاح هذه المهمة واستسلام ميركور وجه « علي رضا » نشاطه نحو القضاء على الأسرة البهدبنانية وطرد « علي رضا » هذه الأسرة من الحكم في سبتمبر ١٨٣٩م ولكنه اضطر مرة ثانية الى أن يعيد اسماعيل الى الحكم اذ كانت الظروف العامة لا تسمح بتطبيق الحكم المباشر حتى لا يثير في وجهه متاعب ضخمة في وقت كانت فيه الدولة العثمانية مهيضة الجناح عقب نكبتها في نزيب ٠ كما أن اسماعيل كان رجلا طموحا فاخذ يتدخل في شئون الموصل ويستعدي العشائر الكردية ضد واليها ولذلك صمم محمد بيرقدار والي الموصل - بعد أن وطد أقدامه في الحكم - على التخلص من الامارة البهدبنانية فحاصر العمادية حتى سقطت في يده وقضى على هذه الامارة واستمرت العمادية تابعة للموصل حتى ١٨٤٩ ثم أضيفت الى « وان » في هذا التاريخ ولم تعد الى الموصل الا في نهاية السبعينات من القرن التاسع عشر(٣٤) ٠

سقوط الامارة البوتانية :

فتح سقوط الامارة البهدينانية الكردية الطريق نحو سقوط الامارتين الصغيرتين المشاغبتين : الامارة البوتانية بزعامة آل بدرخان في جزيرة ابن عمر ، وامارة حكارى تحت حكم نور الله بك • وكان بيرقدار أيضا معنيا كل العناية بأن يرث الامارة الصورانية • فكما قضى على الامارة البهدينانية وضمها الى ولاية الموصل عمل على ضم جزيرة ابن عمر الى ولايته أيضا برغم اعتراض والى أرضروم فرفع بيرقدار الامر الى الباب العالى مطالبا بضم جزيرة ابن عمر اليه • وحصل بيرقدار على ما أراد • وطالب بيرقدار حكام جزيرة ابن عمر بأن يدفعوا الضرائب اليه مباشرة ولكن الامير البوتاني بدرخان ادرك ثبات بيرقدار ، فوطد صلاته مع نجيب باشا (والى بغداد) وحصل منه على تثبيته فى حكم الامارة ونتيجة لخلاف وقع بين حاكم بوتان وأمير حكارى جردت عليهما الدولة العثمانية الجيوش وأوقعتهما فى الأسر وانتهت بذلك امارتهما(٣٥) •

العشائر الكردية :

مهد سقوط الامارتين الكردية الصورانية والبابانية أيضا لتقوية قبضة الحكومة على العشائر الجافية وكانت هذه العشائر تقع على الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية وكانت من العشائر التى أثارت الكثير من الأزمات بينهما قبل عقد معاهدة أرضروم ١٨٤٧ •

ومما لا شك فيه ـ كما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز نوار . أن هذه العشائر الجافية ـ اذا ما قيست بغيرها من العشائر الكردية ـ كانت رزينة غير مشاغبة ومعنية بتنمية ثرواتها وكانت منطقة مليحة من أهم المناطق التى استقرت فيها مجموعات كبيرة من العشائر الجافية لتعمل

في الزراعة ، ولكن ظل قسم من هذه العشائر على بداوته وكان بطبيعة الحال مثيرا للمتاعب وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا مثل غيرهم من عشائر الاكراد ينضمون الى الفرس أحيانا ويثورون ضد الدولة العثمانية ٠

وكما كانت عشائر الجاف نازلة في المناطق المشتركة غير الواضحة الحدود بين الدولتين الايرانية والعثمانية كانت كذلك عشائر البلباس ٠ الا أن الأخيرة كانت أشد بأسا وأكثر خطورة على الأمن في منطقتها وكانت من عوامل اثارة الأزمات السياسية العنيفة بين الدولتين ، وأغلب الظن ان ظهور امارات كردية ذات عصبة قوية في منطقة كردستان والسليمانية أدى الى أن تنضل عشائر البلباس توسيع نطاق أرضها على حساب الأقاليم الفارسية المجاورة وتشترك عشائر الكلهر مع عشائر البلباس في أنهما موضع نزاع شديد بين ايران والدولة العثمانية فعشائر الكلهر أيضا تنزل مناطق الحدود وتفر الى احدى الدولتين كلما شعرت بضغط عليها ٠ وكانت ثوراتها ضد حكام كرمشاه الايرانية تقطع الطرق في تلك الجهات(٣٦) ٠

العشائر اليزيدية :

الى جانب هذه العشائر الكردية السالفة الذكر توجد مجموعة أخرى من العشائر الكردية جمعتها فكرة دينية واحدة تعصبت لها كل التعصب وهي مجموعة العشائر اليزيدية التي سبق الحديث عنها قبل ذلك ٠

والذي يعنينا في هذا المقام أن هناك كتلتين من اليزيدية يختلف تاريخ كل منهما ويتشابه الى حد ما ٠ وتفصل الموصل ونهر دجلة بين الكتلتين الاولى : هي يزيدية شيخان ، والثانية : هي يزيدية سنجار

وقد استطاعت العشائر اليزيدية أن تثبت فى وجه الهجمات التى كان يشنها عليهم ولاة بغداد وولاة الموصل من وقت لآخر . ولم يكن الغرض من وراء هذه الحملات اعادتهم الى الاسلام بقدر ما كانت لوقف تعدياتهم على خطوط المواصلات بين العراق والشام والاناضول التى كانت تحت رحمتهم(٣٧) .

ومع تعدد المعارك بينهم وبين الامارات الكردية المجاورة لهم لم تدر فى أرجاء العراق سوى معركتهم مع عبد الباقى الجليلى والى الموصل فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى (أوائل القرن التاسع عشر الميلادى) وكانت أقسى الهجمات على اليزيديين هى ما قام به ميركور حاكم راوندوز الذى جرد جيشا كبيرا زحف به الى الشيخان وكان تفوق الجيش الراوندوزى فى العدد واضحا فقضى على يزيدية أربل (خريف ١٨٣٢م ١٢٤٨ هـ) وأخذ يدمر القرى اليزيدية الواحدة أثر الاخرى وحاول اليزيديون الاحتماء بالموصل ولكن أمير راوندوز بالتعاون مع والى الموصل أوقع بهم مذبحة كبيرة فقتلوا فيها - كما ترى بعض المصادر - ١٠٠ ألف نسمة وأن ٥٪ من هذه الكتلة اليزيدية هو الذى استطاع أن ينجو منها .

وتتابعت الحملات بعد ذلك للقضاء على ما تبقى من اليزيديين وكانت حملات كريتلى محمد باشا أعنف الحملات ضدهم وتلتها حملات طيار باشا (١٨٤٥) هذا الى أن العثمانين بدأوا فى تطبيق القرعة العسكرية عليهم وبعد فترة من الهدوء المؤقت عاد اليزيديون الى السلب والنهب وقطع الطرق والاعتداء على الامارات المجاورة حتى جاء مدحت باشا وجرد عليهم حملة عسكرية تعتبر أنجح الحملات عليهم من حيث نتائجها حيث وضع قوة عسكرية دائمة فى قلعة تلعفر وكان يرى ضرورة تحويلها الى قائمقامية وأمر بأن يحدد مبنى دار الحكومة فيها وظلت هذه الاقليمة

اليزيدية تعيش تحت الحكم العثماني المباشر متمسكة بتقاليدها على الرغم من المجهودات التي بذلت لتحويلهم عن عقائدهم (٣٨) •

وعلى الرغم من تصفية الامارات الكردية والقضاء على الأسرات الحاكمة في السليمانية والعمادية وراوندوز وجزيرة ابن عمر واضعاف نفوذ العشائر الكردية فانه يمكن القول أن كردستان دان للعثمانيين وهدأت أموره واستقر وكف رجاله عن المغامرات العسكرية • وظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بلاد كردية متحدة تحت حكم عثماني ولم يعد الكردي مرتبطا بالعصبية التي كانت تحكمه ، بل أصبح مرتبطا برباط قوي بكردستان وبالكرد كله بصفة عامة • وبدأ الجنس الكردي يشعر بوجوده وكيانه وبتميزه عن بقية العناصر البشرية في العراق سواء الحاكمة منها أو المحكومة • ولذلك بدأت الحكومة العثمانية تواجه نموا مطردا في الروح القومية الكردية في الوقت الذي كانت فيه القوى العثمانية عاجزة عن أن تتغلب على الحركة العربية المنتشرة في الشام والعراق (٣٩) •

ومن ناحية أخرى يعتبر القرن التاسع عشر في تاريخ الشعب الكردي بداية مرحلة هامة ومعقدة لوقوع الأكراد ولأول مرة تحت تأثير المصالح السياسية البريطانية من ناحية والروسية من ناحية أخرى كذلك كانت هناك محاولات ألمانية وأمريكية وفرنسية للتغلغل في كردستان ولكن بصورة أقل •

واما الشعب الكردي ذاته فقد جرت تحولات عميقة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للأكراد ، كما وقعت انتفاضات مختلفة ضد العثمانيين والايرانيين بدأت تصب في مجرى الانتفاضة الشاملة للشعب

الكردستانى بأسره والتى كان من أهدافها التحـــرر من النير الاجنبى وتشكيل حكومة كردية مستقلة ٠

وقد حاولت بريطانيا بعد ذلك الاستفادة من نمو الروح القومية بين الكرد للعمل على تفكيك العراق الى قوى داخلية متنافرة(٤٠) ٠

وأما عن هذه الانتفاضات التى قام بها الأكراد فسنكتفى بالحديث عن أهمها وهى انتفاضة الشيخ عبد الله النهرى (١٨٧١ ـ ١٨٨٢) ٠

ثورة الشيخ عبد الله النهرى :

وتعتبر هذه الثورة من أهم الثورات الكردية لاتســاعها وشمولها أجزاء كبيرة من كردستان ، ولوضوح أهدافها كثورة قومية تحررية ، اذا كانت تستهدف نوعا من الاستقلال الذاتى ضمن الدولة العثمانية ٠

وقــد اشــترك فيها أبناء الشعب الكردى من شمزبنات وموكريان وشهرزور ومناطق بهدينان و (وان) وغيرها ٠

واذا كانت كردستان فى العصور الوسطى كانت مسرحا لمعارك حربية كبيرة بين الدول المجاورة فقد أصبحت فى العصر العثمانى وعلى وجه التحديد فى النصف الثـانى من القرن ١٩ أحـد مراكز تصــادم المصالح السياسية لروسيا وانجلترا وألمـانيا وفرنسا والولايات المتحدة كما أن اقتصاد هذه المناطق الكردية كان يمر بوضــع صعب للغـاية ٠ فالانحطاط الكبير الذى وصلت اليه الزراعة فى المناطق الكردية كان سببه المستوى المتدنى لتطور القرى المنتجة وظروف وسائل الانتاج وسيطرة بعض الاغوات [illegible] على مساحات شاسعة واستخدام بسطاء الأكراد فى الأعمال [illegible] كما أجبر الأكراد على دفع ضرائب للحكومتين العثمانية والايرانية ، وليس هذا فقط بل تعرض السكان الأكراد الحضر

لسلسلة من غارات الاكراد الرحل المستمرة ضدهم ورفض رؤساء العشائر مساعدتهم الا بعد تعهدهم بدفع أتاوات لرئيس العشيرة والخضوع لسيطرته التامة(٤١) ٠

وكانت قيادة العشائر الكردية تملك فرقا مسلحة مؤلفة بشكل أساسى من أقربائهم ومن فقراء العشيرة الذين كانوا يحصلون على السلاح والطعام ثمنا لخدمتهم ، وكانت تستخدم هذه الفرق ضد القبائل المجاورة الصغيرة والمتنقلة فيضعونها تحت سلطة البكوات ويلاحقون قطعان مواشيها ٠ وكان جمع الضرائب من مهام الفرق المسلحة ، كما كان للعداوات المستمرة بين زعماء العشائر الكردية ، كان يرافقها نهب القرى واتلاف المزروعات وقتل السكان الحضر فى بعض الاحيان ٠

وفى ظل هذه الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة كانت الانتفاضات المحدودة تسهل مواجهتها من قبل الحكومة العثمانية نتيجة انقسام القبائل الكردية وبمساعدة البكوات والأغوات وفرقهم المسلحة ٠

وقد اشتدت روح العداء ضد العثمانيين بين صفوف الأكراد وخاصة بعد المذابح الدموية التى قام بها رشيد باشا وحافظ باشا فى المناطق الكردية وأدى ذلك الى قيام العديد من الانتفاضات الكردية أثناء حرب القرم واستعانت الدولة العثمانية بالقوات الانجليزية لمواجهة هذه الانتفاضات وقد لجأ كثير من الأكراد الى روسيا وايران هرباً من هذه الظروف والغريب أنه من بين القادة الذين لاحقوا القبائل الكردية فى تلك الفترة اسماعيل باشا (كردى من سكان فارص) وكان مخلصة للسلطان الى حد لا يصدق ، كما كان جائراً وقاسيا فى تعامله مع بنى جلدته(٤٢) ٠

الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧ ودور الأكراد :

مع بداية الحرب الروسية العثمانية أضحى واضحا للعيان عدم استعداد الجيش العثماني لها ، فكان يواجه نقصا في الجنود والعتاد ويواجه تحديات كبيرة في الصرب وبلغاريا وغيرها من مناطق البلقان • وأعلن العثمانيون الجهاد المقدس لمواجهة الأطماع الروسية القيصرية وناشدت الأكراد وقف ثوراتهم المسلحة وتناسى مشاكلهم الداخلية والالتفاف حول السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) وقرر الشيخ عبد الله النهرى صاحب النفوذ القوى المشاركة في الحرب الى جانب العثمانيين مما أدى الى وقوف كثير من الاكراد الى جانبهم ولكن نظرا لنقص المواد الغذائية والحاق الهزيمة بالقوات العثمانية في أكثر من موقعة حرب كثير من الأكراد من ميادين القتال ومعهم أسلحتهم وما استطاعوا الحصول عليه وبقى تحت قيادة الشيخ عبد الله أثناء حصار قلعة «بيازيد» حوالى ١٤٤٣ مقاتل كردى من أصل ٥٠٠٠ مقاتل كانوا في عداد الجيش اللانظامى(٤٢) •

وعلى الرغم من مشاركة الأكراد في الحرب الروسية العثمانية فان المحادثات السياسية بين روسيا والدولة العثمانية بعد ذلك لم تشر من قريب أو بعيد الى مسألة الأكراد ومطالبهم مما جعلهم يصابون بخيبة أمل شديدة في الجانبين •

ومن ناحية أخرى انتشرت في أعوام ٧٧ ـ ٨٠ مجاعات شديدة في مناطق كردستان وكان المألوف رؤية الآباء وهم يبيعون أطفالهم (تجارة الأطفال) كما لقى حتفه الآلاف من النساء والأطفال الأكراد •

ولم يكن أمام الجوعى من الأكراد سوى مهاجمة مستودعات الحبوب

وقصور البكوات والاغوات مما جعل هذه الانتفاضة تتحـــول الى ثورة شعبية عام ١٨٨٠ شاركت فيهـا العـديد من القبائل الكردية بما فيهـا المعروفة بمواقفها السلمية وقد شملت مناطق واشي وبدليس (٤٤) ٠

وقد عينت الدولة العثمانية عزت باشـا لقيادة القوات العثمانية للقضاء على ثورة الأكراد وخولته صلاحيات واسعة ولكن الثورة شملت أولاد بدرخان وأهالى بوتان والجـــزيرة فى منطقة هكارى الجبليـــة والواقعة على الحدود التركية الايرانية ٠

وأما انتفاضة الشيخ عبد الله الزعيم النقشبندى البارز وأحد كبار العلماء الأكراد المهتمين بالتطوير الواسع للتجارة والقضـاء على الفوضى والنهب والسلب فى المناطق الكردية والذى رفع شعار العداله الاجتماعية والتخلص من سيطرة البكوات والأغوات وكان أتباعه يلتفون حوله بطريقة غير عادية ويؤمنون بكفاءته ومنزلته الدينية الرفيعة ومن خلال اشتراكه فى الحرب الروسية ـ العثمانية نجح فى توسيع دائرة نفوذه فى جميع كردستان وبدأ يتطلع نحو الاستقلال الفعلى سواء فى المناطق الخاضعة لايران أو المناطق التى تقع تحت النفوذ العثمانى(٤٥) ٠

اتصالات الشيخ عبد الله بالأرمن :

كانت سـياسة السـلطان عبد الحميد ـ كما ذكرنا ـ تهدف إلى ضرب القوميات الثائرة بعضها بالبعض الآخر وهو ما حدث بالفعل باثارة الأكراد ضد الأرمن أو محاولة الايقاع بين الطائفتين بوسائل مختلفة وقد تنبه الشيخ عبد الله الى هذه الدسائس والمحاولات فبدأ اتصالاته بالأرمن وباقى الطوائف المسيحية فى كردستان للتنســـيق معهم وطمـأنهم على مستقبلهم في حالة قيام دولة كردية مســـتقلة وحدث أكثر من لقاء بين

الشيخ عبد الله وعدد من زعماء الكنيسة الأرمينية أدى الى تحسن العلاقات بين الأرمن والأكراد من أنصار الشيخ عبد الله ولكن لم يصل الى حد التنسيق الكامل بينهما •

وقد تنبهت الدولة العثمانية لخطورة اتصالات الشيخ عبد الله بالأرمن فزادت من قواتها التي أعدتها للقضاء على الثورة حتى لا يؤثر ذلك على العشائر التي كانت تدين بالولاء للعثمانيين •

وتمت محاصرة قلعة « أوراما » التي كان يتحصن بها الشيخ عبدالله مع خمسة آلاف من أتباعه وبعد استمالتها لعدد من قادته بتقديم الرشاوى اليهم تمكنت في النهاية من القبض عليه وترحيله الى الموصل تمهيد لمحاكمته •

وبالقضاء على ثورة الشيخ عبد الله هدأت قبائل الأكراد التي كانت تتعاطف مع ثورته واستعاد العثمانيون نفوذهم على كردستان العثمانية(٤٦) •

ويرى البعض أن انتفاضة الشيخ عبد الله كانت أكبر ثورات الأكراد تنظيماً واستعدادا وأنه كان يهدف الى استقلال الأكراد في كردستان كلها ويرجع هؤلاء فشل تلك الثورة الى أسباب كثيرة لعل من أهمها عدم وجود برنامج واضح للثورة ، وتخلي بعض العشائر الكردية عن مساندتها، وظهور العداوات الداخلية بين القبائل الكردية وغير ذلك من الأسباب •

وبفشل هذه الثورة يدخل تاريخ كردستان طورا جديدا(٤٧) •

هوامش الفصل الثانى

الاكراد فى تاريخهم الحديث

(١) على سيد والكورانى : من عمان الى العمودية ، مطبعة السعادة
١٩٣٩ ، ص ٢٢ .

(٢) د. كمال مظهر : كردستان .. ترجمة محمد الملاعبد الكريم
بغداد ١٩٨٤ ، ص ص ١٦ - ١٧

(٣) تاريخ الفارقى لمؤلفه احمد بن يوسف بن على بن الازرق
الفارقى ، تحقيق وتقديم د. بدوى عبد اللطيف عوض ، دار الكتاب
اللبنانى ١٩٧٤ ، ص ٤٩

(٤) الكورانى : سابق ، ص ص ١٣١ - ١٣٢ ، د. نيفين عبد المنعم
الاقليات فى الوطن العربى ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٧٩

(٥) أمين سامى الغمراوى : قصة الاكراد ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٥

(٦) المرجع السابق : ص ٣٢

(٧) البرت م . منتشا شفيلى : العراق فى سنوات الانتداب
البريطانى ترجمة د. هاشم صالح التكريتى ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ٤٧ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٤٨

(٩) محمد أمين زكى : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، المجلد الاول
ترجمة محمد على عونى مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٣٩

د. عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ، الموصل ١٩٨٥ ، ص ص
١٠١ - ١٠٣ .

(١٠) علاء الدين سجادى : تاريخ الادب الكردى ، بغداد ١٩٥٢ ،
ص ٤٩ .

(١١) عبد الستار طاهر شريف : المجتمع الكردى ، بغداد ١٩٨١ ، ص ٣٩ ، صلاح سعدالله ، حول اللغة الكردية ، دار الجاحظ بغــداد ـ ص ١٥ .

(١٢) أمين سامى ، مرجع سابق ، ص ٥٣

جريدة المسلمون ، العدد ٣٢٤ السنة السابعة ، ص ٥

(١٣) الكورانى : سبق ذكره ، ص ٢٥٨ ، كردستان الاسلامية ، سلسلة دراسات اسلامية ، الرياض ص ٢

(١٤) أمين سامى : سابق ، ص ص ٥٨، ٥٩

(١٦) محمد ثابت « الرحالة » جــولة فى ربوع الشرق الادنى ، النهضة المصرية ١٩٥٢ ، ص ص ٧٢ ـ ٧٣

(١٧) محمد ثابت : المرجع السابق ، ص ٧٤

(١٨) سعيد الديوه جى : اليزيدية ، الموصل ١٩٧٣ ، ص ١٤١

(١٩) ثابت : سابق ، ص ٧٦

(٢٠) صديق الدملوجى : اليزيدية ، الموصل ١٩٤٩ ، ص ص ٤٢٨ـ ٤٢٩ .

(٢١) المرجع السابق ، ص ٤٣٠

(٢٢) كردستان الاسلامية ، سابق ، ص ص ٣ ـ ٤

(٢٣) انظر بحثا قيما عن صلاح الدين الايوبى ومنهجه فى الحكم والقيادة للدكتور نعمان الطيب سليمان ، مطبعة الحسين ١٩٩١ ، ص ص ١٤٩ ـ ١٥٠

(٢٤) أحمد الصاوى : الاقليات التاريخية فى الوطن العــربى ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ص ١١٨ ـ ١١٩

(٢٥) أمين سامي : سابق ، ص ص ٤٣ _ ٤٤

(٢٦) أحمد الصاوى : سابق ، ص ١٢٢

(٢٧) المرجع السابق ، ص ١٢٣

(٢٨) على شاكر على : تاريخ العراق فى العصر العثمانى ، الموصل ١٩٨٤ ص ١٦٤ .

(٢٩) أحمد الصاوى : سابق ، ص ١٢٤

(٣٠) على شاكر على : سابق ، ص ص ١٦٤ _ ١٦٥

(٣١) د. عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨ ، ص ١١٢

(٣٢) المرجع السابق ، ص ١١٠ ، على شاكر ، سابق ، ص ١٦٧

(٣٣) د. نوار : تاريخ العراق ، سابق ص ١١١

(٣٤) محمد أمين زكى : تاريخ السليمانية ، ترجمة ملا جميل الروز بيانى ، بغداد ١٩٥١ ، ص ٦٥

(٣٥) د .عبد العزيز نوار ، سابق ، ص ١١١

(٣٦) على شاكر على : سابق ، ص ١٦٨

(٣٧) الديوه جى : الزيدية ، سابق ، ص ٢٢٦

(٣٨) د. عبد العزيز نوار ، سابق ، ص ص ١٢٤ _ ١٢٥

(٣٩) أمين سامى ، سابق ص ص ١٥٠ _ ١٥١

(٤٠) المرجع السابق ، ص ١٥٢

(٤١) احمد الصاوى ، سابق ، ص ١٢٨

(٤٢) جليلى جليل « الباحث الكردى السوفياتى » : انتفاضة

الاكراد ١٨٨٠ ، ترجمة عن الروسية سبامند سبرتي ، بيروت ١٩٧٩ ص ص ٧٨ ـ ٧٩ ٠

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٨٠ ٠

(٤٤) عبد الستار طاهر الشريف : سابق ، ص ٧٣

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٧٤

(٤٦) جليل جليل : سابق ، ص ٨٥

(٤٧) المرجع السابق ، ص ص ٨٥ ـ ٨٦

الفصل الثالث

الأرمن فى العصر العثمــانى

أرمينية (موطن الأرمن) ، بلاد جبلية تحد غربا بآسيا الصغرى وشرقا بهضــبة أذربيجان والشــاطىء الجنوبى لبحر الخزر (قزوين) ويحدها من الشــمال والشــمال الغربى بلاد القوقاز التى يفصلها عن أرمينية نهرا الكروريونة وجنوبا السهل الشمالى من بلاد الجزيرة (وهى الجزيرة فى حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى) وتنبع أنهار دجلة والفرات من أراضى أرمينيــة ويتكون نهر الفرات من اتحاد نهرين صــغيرين هما قره صو الغربى ومراد صــو الشرقى وكلاهما يبــدأ من جبال ارضروم وبايزيد . أما نهر دجلة فينبع من الحدود الجنوبية الأرمينية فى جبال طوروس(١) .

وتوجد فى هذه المنطقــة الجبليــة عدة بحيرات أهمهــا بحيرة وان المعروفة فى التاريخ الاسلامى ببحيرة خلاط (أرجيش) وبحيرة ســوان كوك جاى دكز (أى البحيرة الزرقاء) .

ومناخ ارمينية قارى وشتاؤها طويل قارس وخاصة فى الجبال التى تتوج قمتها الثلوج فى فصل الشتاء الذى يمتد ثمانية أشهر فى السنة أما قمم جبــال بيك كوك طاغى فتغطيهــا الثلوج على مدار العــام وصيف ارمينيا قصير جدا لا يزيد عن شهرين وهو شديد الجفاف لا تنبت فيه المزروعات الا قليلا بالاستعانة بوسائل الرى الصناعى .

وهذا الجفاف الشديد يجعل منطقة الثلوج فى أرمينية الشرقية على ارتفاع أربعة آلاف بز(٢) .

وأرمينية غنية بثرواتها المعدنية اذ يكثر فيها على وجه الخصوص النحاس والكبريت • كما تشتهر بصناعة النسيج والصياغة وأشغال المخرمات والتطريز ، وكانت تضع أرمينية أثمن المصنوعات الخشبية والسجاد والثياب الحريرية المختلفة الألوان الموشاة بالزهور التى كانت واسعة الرواج داخل أرمينية وخارجها • واشتهر السجاد الأرمنى مدة طويلة بأنه أرقى أنواع السجاد صناعة وصباغة وكانت مدينة أردشاط الواقعة على بعد كيلو مترات من دبيل ذات شهرة واسعة في الصباغة(٣)

واما سكان أرمينيا فهم في حدود أربعة ملايين نسمة وينتمى السكان الأصليون الى الجنس الآرى الذى وصل هذه المنطقة في القرن السادس قبل الميلاد وعرف هؤلاء بالأرمن ، واشتق من هذا الاسم أرمينيا وهاجرت اليها أعداد من الفرس والروم فيما بعد ، ثم وصلتها هجرات روسية في العصر الحديث •

وأرمينية اليوم مقسمة بين ثلاث دول ، قسم يتبع تركيا والقسم الثانى يتبع ايران ، أما القسم الثالث فيتبع الاتحاد السوفيتى والقسم التركى من أرمينيا هو الاكبر مساحة والسوفيتى الاكثر سكانا (٤)

تاريخ أرمينيا في العصور الوسطى :

سكن أرمينيا - كما تقول دائرة المعارف الاسلامية - منذ أقدم العصور التاريخية جيل من الناس ليس بسامى ولا آرى وهو جيل لاتزال مكانته بين الاجناس البشرية وانواع اللغات موضع جدل حتى اليوم • هاجر هذا الجيل الى أرمينية في القرن العاشر قبل الميلاد ، وكان يطلق على نفسه كما يتضح من النقوش التى خلفها باللغة المسمارية « هالدى » ومن ثم سمى هذا الاقليم « هالديا » • وقد كون هؤلاء دولة قوية حول

بحيرة أرجيش عاشت ٢٥٠ عاما ثم قضى عليها في أواسط القرن السابع قبل الميلاد ٠

وقد استطاع جيل من الجنس الآرى أثناء هذه الانقلابات وبعدها ان يمتلك هذه البلاد ، وعرف هذا الجيل بالاسم «الارمن» وهو اسم لم يعرف بعد أصله ومعناه وقد سمي هذا الاقليم تبعا لذلك باسم ارمينية على انه لم يشع هذا الاسم بين أهل هذا الاقليم ، فهم لايزالون يطلقون على انفسهم اسم «هيلع » والاهم انه كان يحيط بأرمينية دائما دول اكثر منها قوة ، ولذلك كانت تابعة لآشور ، ولماسقطت نينوى خضعت للميدين ثم للفرس الذين كانوا يولون حكاما من قبلهم وظلت ارمينية تخضع لهذه القـــوه أو تلك الى ان كان عام ١٩٠ ق٠م حيث تمكن اميران هما « أرتكسياس » و « زريدرس » ان يستقلا عن الدولة السلوقية وكونا مملكتين مستقلتين ارمينية الكبرى أو الحقيقة ، وارمينية الصغرى التى تتكون من مدينتي سوفان وازرنان وبعض البلاد التابعة لهما الى ان كان «تكران» الذى أصبح لارمينية في عصره قسط من الرقي السياسي والحضاري ٠ وفي عــــام ٣٨٧ أخذ الساسانيون الجزء الشرقي من أرمينية ويبلغ أربع اخماس مساحتها ، في حين أخذ الرومان الجزء الغربي الصغير ويقول المـــؤرخ الارمني « سيوس » ان الفرس لم يفلحوا قط في تدعيم ملكهم في ارمينية فقد انتهز حكامها الوطنيون كل فرصة سنحت لهم لرفع نير هؤلاء المجوس كما استعانوا كثيرا بالبيزنطيين اخوانهم في الدين (٥) ٠

ارمينيا قبل الفتح الاسلامي :

نظرا للخلاف الديني بين الارمن والبيزنطيين انحاز الارمن الى الفرس الذين كانوا يجدون في حكمهم حرية أوسع على الرغم من الاضطهادات

الدينية التى كانت تصيبهم بين الحين والحين ، كما ظلت المنازعـــات الداخلية تنتاب «الارمنيتين» الشرقية والغربية حتى حمل ذلك الفـرس والروم على التدخل الحربى في كثير من الاحيان ، واختل الامن فى البلاد من جراء ذلك النزاع بين الحكام الوطنين الذين اخفقوا فى حمـل الفـرس او الروم على الثقة بهم ٠

وكان ظهور الخزر على الحدود الشمالية الشرقية الارمينية مصـدر خطر دائم لانهم كانوا دائمى الاغارة على المناطق المجاورة لهم ٠

وفى هذه الظروف السيئة التى أحاطت بارمينية التى كانت تجتاحها المنازعات وتمزقها الفتن الداخلية وتمقتها الدول الاجنبية ٠٠٠ فى هذه الظروف قدر لارمينية ان تواجه الفتح الاسلامى (٦١) ٠

الفتح الاسلامى لارمينية :

كان ظهور الاسلام وفتح العرب للمقاطعات البيزنطية فى بـــلاد الشام وفلسطين عقب انتصارهم فى اجنـــادين سنة ١٣ هـ ـ ٦٣٤ م واليرموك سنة ١٥ هـ ـ ٦٣٦ م ونهاوند سنة ١٩ هـ ـ ٦٤٠ م من أبرز أحداث القرن الهجرى الاول السابع الميلادى وكان لهذه الاحداث تأثيرها البالغ على مصير الارمن « موضوع هذا الفصل » ، لدخولهم طـــرفا فى المواجهة تارة الى جانب الفرس في معركة القادسية ، وتارة الى جـانب الروم فى معركة اليرموك ٠

وكان من الطبيعى ان يتطلع المسلمون الى فتح ارمينية بعـــد ان اصبحت حدود دار الاسلام متاخمة لحدودها ، وذلك فى اعقاب الفـتح الاسلامى لبلاد الجزيرة وأذربيجان مايشغل قادة الفتح الاسلامى حينذاك

هو سلخ ارمينية عن الامبراطورية البيزنطية ، وضمها الى الخلافـــــة الاسلامية (٧) ٠

وقد فتح المسلمون أرمينية فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما وجه عياض بن غنم سنة ١٩ هـ ـ ٦٤٠ م أولى الحملات لفتح أرمينية وسار الجيش الاسلامى فى أربع فرق بقيادة اثنين همـا حبيب بن مسلمة وسليمان بن ربيعة متجهين من أذربيجان واستمرت تلك الغزوات حتى عام ٢٤ هـ ـ ٦٤٤ م فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما تم له اخضاع مناطق واسعة من ارمينيا للحـــكم الاسلامى ٠

وكان قائد تلك المناطق وفارسها المغوار هو حبيب بن مسلمة الذى برز فى حرب الروم وتوجه حبيب الى فاليقلا « أرضروم » أو أرزن الروم وتقع فى تركيا وكانت عاصمة ارمينية فى عهد الروم واستولى عليها بعد ان الحق بجحافل الروم هزيمة فادحة ثم توجه حبيب الى بحيرة خلاط «أرجيش وتسمى الآن بحيرة وان» حيث خضع له أمير خلاط واقر بالجزية وكذلك فعل أمير مدينة أرجيش ، ثم سار مسلمة الى دبيل عاصمة أرمينيا الفارسية فاستولى عليها بعد ايام قلائل ثم توجه حبيب بعد ذلك الى مدينة تفليس عاصمة جورجيا او بلاد الكرج فى الاتحاد السوفيتى اليوم ، فدانت له وأقرت بالجزية (٨) ٠

وعلى أثر ذلك أرسل حبيب الى الخليفة عثمان بن عفان رضوان الله عليه بأن يبعث اليه جماعة من أهل الشام وجزيرة الفرات فبعث اليهم معاوية بن أبى سفيان ألفاً رجلاً أسكنهم حبيب جهة فاليقلا ، وجعلهم مرابطين بها ، ثم فتح مدينة شمساط وصالح أهلها ، واستقر بها القائد المسلم صفوان بن معطل السلمى ٠

وفي عهد معاوية رضي الله عنه تولى حكم أرمينيا عبد العزيز بن حاتم بن النعمان وأعاد بناء مدينة ديبل وحصنها ووسع مسجدها ورمم عددا من مدنها غير أن الارمن عادوا الى التمرد والعصيان في الفترة الواقعة بين سنتي ثلاث وستين وثلاث وسبعين هجرية ، ونقضوا العهود فأرسل عبد الملك بن مروان أخاه محمد في سنة ٨٢ ، فغزاهم مرتين وولي محمد ابن مروان حكم أرمينا فترة طويلة واتخذ مدينة ديبل عاصمة لولايته ، وتحرك منها لغزو الخزر والروم (٩) .

ويعترف أشد المستشرقين عداء للاسلام أن القرن الاول من حكم العرب لارمنية كان عصر نهضة قوية وأنه على الرغم من ثورات الارمن المتكررة في تلك الفترة فقد عومل الارمن من قبل المسلمين معاملة طيبة .

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية « وقد كان القرن الاول من حكم العرب في أرمينية برغم الحروب المدمرة عصر نهضية قومية وأدبية لهذه البلاد .

وجاء على لسان المؤرخ الارمني المعاصر لتلك الفترة « جيفون » أن الارمن (كانوا يفضلون حكم المسلمين على البيزنطين ، بسبب محاولة أباطرة الروم فرض مذهبهم الديني بالقوة على الشعب الارمني (١٠) .

ارمينية في العصر العباسي :

أرسل الخليفة المتوكل حملة كبيرة الى ارمينيا سنة ٢٣٧ هـ ونصب عليها « أشوط البكراطي » ، وهو أرمني واستمرت اسرة البكارطة تحكم أرمينيا ففي عهد المعتمد العباسي منح أشوط لقب ملك أرمينيا

وظهر بعده عدد من الحكام الارمن الوطنيين وزار ارمينيا عدد من الجغرافيين المسلمين منهم الاصطخرى فوصف مدنها ومساجدها وزارها ابن حوقل والمقدسى .

وليس غريبا أن يقف الخليفة المعتضد العباسى الى جانب سمباط ابن أشوط البكراطى الارمنى ضد يوسف السيبانى الذى اختلف مع سمباط فقتله وذلك سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) فقام المعتضد بارسال جيوشه لاخضاع بنى شيبان المسلمين وأعاد الامر لابن سمباط وفاء بالعهد وقد وصف ابن حوقل هذه الحادثة فى حينها بقوله : « طغيان وعصيان لله ورسوله » ذلك أن المؤمنين لا يخونون عهد لذمى مادام قد أدى الجزيه . والذمى فى ذمة الله ورسوله . وعلى الرغم من هذا المواقف لخليفة المسلمين مع ابن سمباط الا أن الاخير خان العهد وأغراه الامبراطور البيزنطى بذلك وأمره بالجيوش فحاول أن يتخلف من الحكم العباسى فكان بذلك سببا فى أنهاء حكم الاسرة البكراطية (١١) .

ارمينيا فى عصر السلاجقة :

عانت أرمينية منذ الفتح الاسلامى من هجمات الدولة البيزنطية فى محاولة لاستعادة نفوذها وسيطرتها وعانى الارمن من جشع البيزنطين واستبدادهم واستيلائهم على كنائسهم وأوقافها حتى يقول أحد المستشرقين (فى دائرة المعارف الاسلامية) « ووضع رجال الدين البيزنطيون الجشعون يدهم على الاسقفيات والاديرة الارمينية الغنية بأوقافها . ولا حد للمضايقات التى حلت بالارمن على أيدى الارثوذكس القائلين بالطبيعة الواحدة (للمسيح) والحقد الذى فاضت به قلوب الارمن من هذه المعاملة الشائنه مهد السبيل لنجاح غارة السلاجقة (١٢) .

وقد تجلى هذا الحقد والكره بوضـــوح بالغ فى مصنفات مؤرخى الارمن فهذا المؤرخ الارمنى متى الرهاوى

يعبر عن هذه المشاعر الارمينية بقـوله تعقيبا على ضـم بيزنطـه لاراضى الارمينية سنة ١٠٤٥ م (٤٣٧ هـ) « فقدت مملكتنا أصـــحابها الشرعين نتيجة عملية الضم الى الامبراطورية البيزنطية المنخوزة القوى تلك الامه المخنثة الخسيسة الدنيئة ٠٠٠ ولقد اشتهر الروم بسرعة الفـــرار من ميادين القتال فكانوا أشبه بالراعى الـــذى يلوذ بالفرار بمجـــرد أن يلاحظ ذئبـــا ٠

كما عبر البيزنطيون عن مشاعر المتبادلة مع الارمن وكرههم لهم ومن الاقوال المأثورة عن البيزنطين « ان الصـــديق الارمنى هو أســـوأ الأعداء فالارمنى كاذب وخائن ومحتال (١٣) ٠

والذى يعنينا فى هذا المقام أن البيزنطين تجـــاهلوا الاهميـــة الاستراتيجية لارمينية بصفتها السد الحاجز والدرع الواقى الذى كان يحمى ظهر الامبراطورية ويعطيها عمقا اقليميا ، ويدفع عنهـا الاخطـار المرتقبة من قبل الاتراك السلاجقة الذين بدأوا هجماتهم على أرمنيـــة عـــام ٤٤٦ هـ ٠

وقد نجح هؤلاء السلاجقة بعد الاستيلاء على العاصمة الارمنيــــه عام ٤٥١ هـ (١٠٦٤ م) ٠ فى تحطيم ذلك الـدرع الواقى لجســـد الامبراطورية البيزنطيـــة ٠ وتقطيع اوصالها ، بل ودس أنوفهـــم فى تسيير سياستها تمثل ذلك بوضوح بالغ بعد الحـــاق الســـلاجقة شر الهزائم بالجيش البيزنطى فى معركة ملاذكرد الشـــهيرة سنة ٤٦٣ هـ

(١٠٧١ م) وأسر الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع لتبدأ بعد ذلك ما عرف باسم الحملات الصليبية (١٤) .

وقامت فى أيام السلاجقة دولة أرمنية صغيرة بقيادة الامير (روبين) سنة ١٠٨٠ وعاشت ثلاثة قرون تناصب الامبراطورية البيزنطية العداء وتمتد بينها وبين الدولة السلجوقية أواصر الصداقة واعترف الارمن بسلطة السلاجقة عليهم وأدوا الجزية وكانوا يرون الخضوع للمسلمين أفضل بكثير من خضوعهم للنصارى البيزنطيين ودخل كثير من السكان الارمن الاسلام طواعيه واختلطوا بالاتراك السلاجقة ثم بعد ذلك بالمغول الذين عرف امراؤهم بالايلخان والذين تحولوا من المجوسية إلى الاسلام .

المماليك وارمينية :

استولى المماليك على آخر ما تبقى من حصون أرمينية فى عهد السلطان الاشرف ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) واضطر آخر ملوك أرمينية « ليون السادس » الى الرحيل عنها متجها نحو باريس .

وقد تحولت أرمنية فى عهد السلاجقة والمماليك الى مجموعة من الامارات الصغيرة شبه المستقلة والتى يحكمها امراء من السلاجقة أو المماليك وبظهور المغول المسلمين أحفاد « هولاكو » أقاموا دولا قوية فى بلاد ما وراء النهر وايران وأمتد سلطانهم الى أرمينية وظهر بعدهم التركمان وعلى الخصوص قبيلة القطيع الاسود (قره‌قويونلى) والقطيع الأبيض (آق قويونلى) نسبة ألى شارات أعلامهما وتوسع سلطان هاتين القبيلتين حتى شمل معظم بلاد ما وراء النهر وخراسان وأذربيجان وأرمينية (١٥) .

ارمينيا في العصر العثماني :

عندما إكتسحت قوات « تيمور لنك » تلك المناطق انضم اليه القطيع الابيض بينما أنضم القطيع الاسود الى جانب العثمانين والمماليك ودانت السيطرة لتيمور في أرمنية وغيرها ·

وبعد وفاة « تيمور لنك » عادت أرمنية لحكم القطيع الاسود ودارت الحرب بين الفريقين المسلمين من التركمان شملت أراضي أرمنية لم يستفد منها سوى أعداء الاسلام وتمكن القطيع الابيض من فرض سلطاته على أرمينية ثم ظهر « أوزون حسن » الذى أمتد سلطانه ليشمل أرمينيا والكرخ وأذربيجان والعراق وفارس وكرمان · وكان « أوزون » منافسا قويا وخصما عنيدا لسلاطين العثمانين ولكن بوفاته ضعفت دولته واقتسمت أراضيه بين الصفويين والعثمانيين ·

وقد نجح العثمانيون فى ضم القسم الغربى من أرمينية فى العقد الاخير من القرن الرابع عشر الميلادى على عهد السلطان « بايزيد » (١٣٨٨ - ١٤٠٣ م) ·

ثم فتحوا القسم الشرقى من أرمينية فى القرنين التاليين أيام السلطان محمد الثانى (١٤٥١ - ١٤٨١) والسلطان سليم الاول (١٥١٢ - ١٥٢٠) ابان الحملات التى قام بها السلطان الاخير ضد الشاه اسماعيل الصفوى مؤسس الدولة الصفوية فى فارس وقد ظل الجزء الاكبر من أرمينية فى حوزة العثمانين ما يقرب من خمسة قرون (١٦) ·

وكانت مقسمة الى ست ولايات يطلق عليها « ولايات سته » وكان يسكنها الارمن ومعهم أعداد غير قليلة من الاكراد والعثمانين وهذه الولايات هى :

١ - بدليس (أو بتليس) بالتناوب هي وموش .

٢ - أرزن الروم وتسمى حديثا « أرضروم » .

٣ - « معمورة العزيز » ويرد ذكرها في بعض المراجع «خربوش» .

٤ - « فان » ويرد ذكرها في بعض المراجع « وان » .

٥ - جزء من ديار بكر ولم تشمل هذه الولاية صنجقية مرعش التي كانت جزءا من ولاية حلب السابقة أو ولاية أطنه فيما مضى أو ارمينية الصغرى بالمعنى اللفظي الدقيق (سيواس) .

٦ - وأهم مدن ارمينية العثمانية سيواس وبلغ عدد سكانها في عام ١٨٦٧ ما يقرب من ٤٣ر٠٠٠ نسمة ، وأرضروم وبلغ عدد سكانها ٣٨ر٩٠٠ نسمة ووان ، وأرزنجان وبلغ عدد سكان كل منهما ٢٠ر٠٠٠ نسمة ، وبدليس ٢٠ر٠٠٠ نسمة) ، وخربوت ، وموش ، وبايزيد .

وبعد أن فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية عام ١٤٥٣ استدعى اليها أسقف بروسة الارمني ، وأسمه يواقيم وأقامه في أستانبول بطريركا للارمن يتمتع بذات الحقوق المقررة لبطريرك الكنيسة الارثوذكسية الشرقية (اليونانية) وقررت الحكومة العثمانية أن يكون مقر اقامة بطريرك الارمن في حي « قوم قابى » أحد أحياء استانبول ، وكان البطريرك ينتخب من بين الاحبار الذين يعلون في المرتبة الاساقفة العاديين ، ويسمون « المارخصة ، ومعناها «القسيسون القديسون» وكان يتعين على البطريرك الارمني أن يؤدى الى الدولة ضريبة سنوية (١٧) .

ومن ناحية اخرى بعد فتح القسطنطينية نقل السلطان محمد الثاني من بروصة الى عاصمته الجديدة جالية أرمنية كبيرة العدد حصل رئيسها

على لقب بطريق الارمن القاطنين فى الدولة العثمانية كافة واعترف به فى ذات الوقت ممثلا لجميع الرعية المسيحية غير الارثوذكسية فى الامبراطورية العثمانية .

وهكذا احتل رئيس أساقفة آرمنى بسيط بارادة السلطان محمد الثانى ارفع المراكز الدينية بالمقارنة مع رئيس اساقفة قاليقا وكان يحمل لقب « كاثوليكوس » ويعنى اخضاع جميع رعايا الدولة المسيحية من غير الارثوذكس الى بطريرك الارمن انه قد اصبح يحتل مكانه تعادل مكانة جاثليق كل الارمن وهو الاسم الذى يطلق على رئيس الكنيسة الارمينية الذى يتمتع بالسلطة الدينية على آرمن روسيا واوربا الغربية وفارس والهند وامريكا (١٨) .

ومن الطبيعى ان يحرص بطريرك الارمن على سلطتة حرصا شديدا ضد اى تطاول عليها من الخارج مستغلا ذلك الدعم الذى يحظى به بشكل مستمر من الباب العالى ، لذا فان المنصرين الكاثوليك الذين استقروا فى الدولة العثمانية منذ نهاية القرن السادس عشر وجدوا فى سعيهم لكسب اكبر عدد ممكن من رعايا السلطان المسيحيين الى الكاثوليكية ، خصوما عنيدين فى شخص هذا البطريرك ورجال الدين الخاضعين له وهكذا قام بين المبشرين الكاثوليك ورجال الدين الارمن صراع يمكن الحكم على شدته من الفقرة التالية المقتبسة من تاريخ **Hammer**

« ان البطريق الارمنى أفنيك الذى رقى الى هذه المرتبة بفضل مشاعر اليسوعيين الذين اعتمدوا على وعده بحماية الكاثوليك كشف عن نفسه كعدو لدود لهؤلاء الاخرين .. وفى مقابل ذلك وبالحاح من حماته فى الماضى القريب اختطف عندما كان فى جزيرة « جيوش » ووضع فى سفينة

حربية فرنسية ونقل الى فرنسا حيث سجن مدى الحياة • وقد اعطى اختفاءه دون اثر حجة لممارسة اضطهادات جديدة ضد الارمن الكاثوليك الذين صدر مرسوم سلطاني بوضعهم تحت الحراسة ، كذلك نفى اسقف اسطنبول والقدس اللذان سمحا للمبشرين بالوعظ الى الكاثيرا على اثر شكوى من رجال الدين الارمن — الجريجورين — ولم تكتف الدولة العثمانية بذلك بل منعت اليسوعين من ممارسة أى نشاط وأمرت باعدام بطريرك الارمن الكاثوليك وستة من مساعديه وكانوا قبل ذلك رهن الاعتقال وقد اعتنق بعضهم الاسلام فعفى عنهم » (١٩) •

أما الاسقف Com'das الذى رفض التخلى عن الكاثوليكية ومعه اثنين اخرين فقد قطعت رؤوسهم علنا كما ازداد عدد الضحايا فى اثناء الحملات التى قامت فى ١٦٩٩ ، ١٧٥٩ ، ١٧٨٢ ، ١٨٢٨ بسبب التحول لاعتناق الكاثوليكية •

وكان السبب فى ذلك ان الباب العالى رفض ان يعترف بالارمن الكاثوليك كطائفة مستقلة وان يدخل معهم فى محادثات الا عن طريق خصمهم الرئيسى بطريرك الارمن •

ولقد لفتت ملاحقة الارمن الكاثوليك فى اخر الامر انتباه فرنسا وكانت حافزا لتدخل نشط قام به ممثلوها لدى الباب العالى • وكانت الحاجة التى استغلها هؤلاء المرسوم الذى اصدره السلطان محمود الثانى فى مستهل عام ١٨٢٨ ردا على اشتراك اساطيل فرنسا وبريطانيا وروسيا فى تدمير الاسطول العثمانى والمصرى فى خليج — نافارينو — والذى قضى بطرد جميع المبشرين الكاثوليك ومن تبعهم من الارمن من الدولة العثمانية (٢٠) •

وقد تمكن سفير شارل العاشر الجنرال Guilleminot الذى أرسل الى الدولة العثمانية بعد عودة العلاقات الدبلوماسية معها مباشرة من ان يحصل من السلطان على أمر بالغاء المرسوم السابق وزاد ذلك اخراج الارمن الكاثوليك من دائرة اختصاص بطريرك الارمن الكريكورين ، فوضعوا فى القضايا المدنية تحت حماية موظف عثمانى خاص .

أما فى القضايا الدينية فقد اصبحوا يتبعون القاصد الرسولى فى استانبول . لقد استبدل القاصد فى ١٨٣١ باسقف وكانت « البراءات » التى اعطيت لذا الاخير اعترافا رسميا من الباب العالى لـ « طائفة الارمن الكاثوليك » .

ارمينيا بين العثمانيين والصفويين :

وفى الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر كانت ارمينيا احدى أهم ميادين التوتر والحروب العتيقة المدمرة بين الدولتين العثمانية والصفوية ، مما جلب للارمن مزيدا من التخلف وقد شرد الشاه عباس الاول « ٩٩٥ ـ ١٠٣٧ هـ » « ١٥٨٦ ـ ١٦٢٨ » وحده عشرات الالوف من الارمن بعد هزيمة العثمانين عام ١٠١١ هـ ـ ١٦٠٣ م بالقرب من تبريز واستولى على هذه المدينة الاخيرة .. كما استولى على اريوان عام ١٦٠٣ م وقارص واستمرت هذه الحروب اكثر من عشرين عاما لم تنقطع خلالها الا فترة قصيرة بصلح عقد فى عام ١٢٠٧ هـ ـ ١٦١٠ م وأدت هذه الحروب الى انتقال اقاليم أرمينية والكرج المتاخمة الى أيدى العثمانيين .

وفى عام ١٦٣٩ قسمت أرمينيا نهائيا والحق القسم الشرقى منها بالدولة الصفوية ، كما اعطى القسم الغربى للعثمانيين (٢١) .

ونتيجة لهزيمة الايرانيين فى حروبهم مع الروس فى الاعوام من ١٨٢٦ ــ ١٨٢٨ التى اسفرت عن عقــد معـاهدة « تركمان جاى » بين الطرفين عام ١٨٢٨ اصبحت ارمينيا الشرقية جزءا من روسيا .

ومن ذلك الوقت أصبحت سلسلة جبال أراراط الكبرى هى الحدود الفاصلة بين الدول الثلاث واصبحت للروس قاعدة هامة باستيلائهم على قلعة « ريوان » المشرفة على الهضاب المرتفعة الواسعة الممتدة على الشاطىء الايسر لنهر الروس وهى الهضاب التى كانت آهلة بالسـكان يوما ما .

وما كاد الروس ينتهون من اقرار الحدود بينهم وبين الفرس حتى أعلنوا الحرب على تركيا فحصلوا بمقتضى المعاهدة التى وقعت فى أدرنه فى الرابع عشر من سبتمبر على جزء من بلاد أرمينية بما فيها القلعتان آخالينسيخ وآخالخلقى .

وقد أدى الخلاف بين الروس والترك على البقاع المقدسة فى ارمينية الى حرب جديدة عرفت بحرب القرم ١٨٥٣ ــ ١٨٥٦ قاسبت فيها ارمينية كثيرا من الاهوال ، ولما وضعت الحرب أوزارها نعمت أرمينية بالسلام عشرين عاما .

وقد شبت الحرب من جديد عام ١٨٧٧ فيما يعرف بالحرب الروسيه العثمانية بسبب مشروعات الاصلاح التى وعد الباب العالى أن يقوم بها لصالح الرعايا المسيحيين وانتهت هذه الحروب بصلح سان استيفانو(٢٢) .

وقد أعاد مؤتمر برلين الذى اختتم اعماله فى الثالث عشر من يوليو ١٨٧٨ النظر فى نصوص ذلك الصلح . فنصت المادة الثامنة والخمسون منه على وجوب تخلى الباب العالى للروس عن بلاد اردهان وقارص وباطوم

وكذلك عن جميع البقاع الواقعة بين الحدود الروسية التركية القديمة والحدود الجديدة (٢٣) .

ونستطيع ان نقول ان الارمن في العصر العثماني قد حافظوا على صفاتهم التي توارثوها وهي انهم شعب دءوب على العمل ذو مهارات شتى في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والمالية اشتغلوا بفلاحة الارض في المناطق الزراعية وبالصناعة الدقيقة كالمجوهرات وكان لهم نشاط تجارى مكثف بين أرمينية والعالم الخارجى ، وضربوا بسهم وافر في الاعمال المالية وما تفرع عنها وكانت الجالية الارمينية في استانبول من أكبر الجاليات في العالم ازدهارا ونشاط وثراء (٢٤) .

وتقلد الارمن الذين اعتنقوا الاسلام سواء كان اسلامهم صادقا او كان غير ذلك المناصب القيادية في الحكومة العثمانية ووصل عدد من هذا الفريق الى مناصب الصدارة العظمى والى مناصب الوزراء وحتى من بقى منهم على نصرانية تبوأوا مكانا عليا في المناصب الحكومية فوضعتهم الدولة على رأس بعض المصالح الهامة ، واشتغل بعضهم في السلكين الدبلوماسى والقنصلى العثمانين ودخل بعضهم البرلمان بمجلسيه وقد اختارت الدولة العثمانية احد الارمن الكاثوليك في عام ١٨٦١ ليشغل منصب « متصرف لبنان » وهو « أرتين داود باشا » ومنحته رتبة المشير وهي ارقى رتبة عسكرية في الدولة تمنح لمسيحي .

وقد تعاقب على هذا المنصب الخطير عدد من الارمن الكاثوليك كان آخرهم « أوهانسان قيو محيان » باشا الذى شغل هذا المنصب من سنة ١٩١٢ حتى ١٩١٥ .

وقد ظل الارمن في العصر العثماني يحملون لقب « ملت صادقة »

اى الملة الصادقة الولاء وحتى قال عنهم المستشرق « اوبيسى » ان الارمن من دون الامم الخاضعة للباب العالي جميعا هى الامة التى لها من المصالح المشتركة مع الاتراك اكثر من غيرها ، كما ان المحافظـــة عليهم يرتبط بمصلحتها ارتباطا هو اوثق مايكون ٠

وقد منحهم السلطان عبد العزيز حكما ذاتيا محدودا فى ١٨٦٣ جعل بمقتضاه المسائل الارمينية من اختصاص مجلس وطنى عام يجتمع مرة كل سنتين فى استانبول وعلى الرغم من تسامح العثمانين الدينى مع الارمن وعدم اجبارهم اى ارمنى على التخـــلى عن عقـيدته الا انه مع ذلك وفى والبغضاء وان توهج القوميات المختلفة فى الدولة ولا سيما الارمن الذين اخريات القرن ١٩ تمكنت الدول الغربية وروسيا ان تذكى نار العداء تطلعوا نحو الاستقلال الذى وعدتهم به تلك الدول ٠ وهذان ما أدى الى النزاع المستمر بين الارمن والعثمانيين وبين الارمن وجيرانهم من الاكراد وكانت ثوراتهم فى تلك الفترة لا تتوقف وكثرت اعمال الارهـــاب منهم وارتكبوا الكثير من المذابح ضد العثمانين والاكراد وفى نفس الوقت كان رد الفعل عند العثمانين عنيفا مما ادى الى وقوع كثير من اعمال العنف التى تحتاج الى وقفه متأنية لوضع الحقائق فى نصابها ٠

هوامش الفصل الثالث

الارمن فى العصر العثمانى

(١) د٠ محمد علي البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ، جـ ١ دار الشروق جده ١٩٨٣ ، ص ٢٠٩

(٢) د٠ عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية ، جـ ٣ ، ص ص ١٥٣٣ ـ ١٥٣٤

(٣) أحمد عطية الله : القاموس السياسى ، ط ٤ النهضة المصرية ١٩٨٠ ، ص ٦٠

(٤) د٠ نفين عبد المنعم مسعد ، سابق ، ص ٧٩ ، أحمد عطية الله سابق ، ص ٦٠

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندى واخرون

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٢

المجلد الاول ، ١٩٣٣ ص ص ١٤٠ ـ ١٤١

(٧) البار : سابق ، ص ٢١٠

(٨) سيد عبد المجيد بكر ، الاقليات المسلمة فى أسيا واستراليا ، رابطة العالم الاسلامى ١٩٨٣ ، ص ٣٤٠

(٩) د٠ فايز نجيب اسكندر ، الفتوحات الاسلامية لارمنية ، ط الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٤٩

(١٠) د٠ محمد علي البار ، سابق ، ص ٢١٢ ، دائرة المعارف ، المجلد الاول ، ص ٦٤٩

(١١) المرجع السابق ، ص ٢١٣ ، سيد بكر ، سابق ، ص ٦٤٢

(١٢) أحمد عطية الله : القاموس الاسلامى ، جـ ٣ ، ص ٤٠٨ ، دائرة المعارف الاسلامية م ١ ، سابق ، ص ٦٤٨ ٠

(١٣) د٠ فايز نجيب :سقوط السلاجقة على آني « عاصمة أرمينية »، الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ٧

(١٤) أحمد عطية الله ، القاموس الاسلامي ، جـ ٣ ، ص ٤٠٨

(١٥) د٠ محمد على البار : سابق ، ص ٢١٧

(١٦) سيد بكر ، سابق ، ص ٣٤٢

(١٧) د٠ عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، جـ ٣ ، ص ١٥٢٦ ٠

(١٨) دائرة المعارف : سابق ، ص ٦٥٣

(١٩) الكسندر آداموف : ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة د٠ هاشم صالح التكريتي ، جـ ٢ ، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٢١٦

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٢١٦

(٢١) دائرة المعارف الاسلامية ، سابق ، ص ص ٦٥٢ ـ ٦٥٣

(٢٢) د٠ محمد صفوت : مؤتمر برلين ١٨٧٨ وأثره في البلاد العربية معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٧ ، ص ٥٠ ؛

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٥٠

(٢٤) د٠ عبد العزيز الشناوى : سابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٢٧

(٢٥) نبيل زكي : نوبار في مصر ، كتاب اليوم ، العدد ٣١٨ ، ص ٢١٧ ٠

الفصل الرابع

ثورات الأرمن

ابان القرن التاسع عشر

من خلال استعراضنا لتاريخ الارمن فى الفصل السابق يتضح لنا أن الشعب الارمنى اكتسب الكثير من صفاته فى المنطقة الجبلية التى يعيش فيها ومن الظروف البيئية المحيطة به ومن الاطماع الاجنبية التى لم تتوقف يوما ٠ من هنا اصبح الارمنى عنيدا كالجبل ، جافا كالصخر ، متقلبا كمناخ ارمينيا غير المستقر ويكاد يكون هناك نوعا من الاتفاق على أن الارمن شعب مقاتل يميل للشغب والعنف فى احيان كثيرة ٠ كما أن الارمن لم يكونوا متحدين يوما ولكنهم كانوا متفرقين فى أوقات مختلفه بعضهم حارب الى جانب الفرس والبعض الاخر الى جانب الروم ٠ وبعد الفتح الاسلامى لم تنقطع ثوراتهم وانحاز جانب منهم الى البيزنطيين وبقى قسم منهم على ولائه للمسلمين ٠

وبعد خضوع قسم كبير من ارمينيا للعثمانين وتسامح السلطات العثمانية معهم واعتبارهم ملة صديقة وعلى الرغم من ذلك فقد انقسموا على انفسهم أيضا بين ولاء جانب منهم للعثمانين وقسم يوالى روسيا والبعض ينحاز الى ايران وهكذا ٠

هم حاقدون كارهون للجميع ، فلا هم محبون للنصارى البيزنطيين ولا للمسلمين ولا للروس او الايرانيين ، الغدر ونقض العهود والقسوة والميل للارهاب يؤكد ان الارمن فى العصر الحديث استغلوا تسامح العثمانيين معهم وبدأوا يخططون لدولة ارمينية كبرى ٠ تتسع مساحتها على حساب جيرانها أيا كان هؤلاء الجيران (١)

كان الارمن اول من استخدم مايعرف اليوم بالاغتيالات السياسية وعمليات الارهاب الدموية واحتجاز الرهائن للمساومة كل ذلك فعله الارمن فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وعلى الرغم من ذلك فالارمن حريصون على ان يظل مجتمعهم مجتمعا مغلقا وخاصة فى الامور الدينية والسياسية وحتى لايقال اننا متحاملون فهذا جانب من ثوراتهم فى العصر العثمانى والمذابح التى ارتكبوها ضد الاكراد والعثمانيين وحتى ضد القلة من الارمن الذين رفضوا الانصياع لاوامر هذا الجمعيات الهدامة وباستعراض ما قاموا وخاصة فى عصر السلطان عبد الحميد الثانى يمكن تفسير دوافعهم للقيام بهذه الاعمال الدموية التى ساندتهم الدول الاوربية وخاصة روسيا وانجلترا فى ارتكابها نكاية فى الدولة العثمانية ورغبة فى تدميرها .

وكانت البداية اختطاف الارمن الكاثوليك للبطريرك الارمنى افنيك ونقله الى فرنسا وقيام الدولة العثمانية باعدام بطريرك الارمن الكاثوليك وستة من مساعديه واعدم الاسقف واثنين اخرين حيث قطعت رؤسهم علنا ورفض الباب العالى الاعتراف بالارمن الكاثوليك كطائفة مستقلة .

وأصدر السلطان محمود الثانى مرسوما يقضى بطرد جميع المنصرين الكاثوليك ومن تبعهم من الارمن (٢) .

ويفسر البعض هذا التوتر فى المشاعر القومية لدى الارمن الكاثوليك ان هذا الوقت بالتحديد هو الذى قامت فيه بين الارمن العثمانيين حركة قومية ترمى الى انشاء « ارمينيا الكبرى » المستقلة الليبرالية . لقد اخذ حزب أرمينيا الفتاة الذى تشرب بالافكار الفرنسية يسعى لاثارة الارمن ودفعهم للمطالبة بالاستقلال وأصدار دستور موحد للارمن .

وفى مقابل النشاط الكاثوليكى الارمنى انتشرت كذلك المبـــــادىء البروتستانتيه من خلال نشـــاط بعثات انجلتـرا والولايات المتحـدة الامريكية ٠

وقد تدخلت انجلترا لدى الباب العالى الذى اقر لهم كيانا دينيا وقانونيا مما ادى الى قيام « ملة ارمينية بروتستانتية » وكان الباعـــث للارمن على اعتناق هذا المذهب هو انهم سيكونون فى حمايل قناصـــــل بريطانيا وأمريكا كما هو الحال مع مواطنيهم الكاثوليك المشمولين برعايه فرنسا ٠ وساعدهم على ذلك نظام الامتيازات المعمول به فى ذلك الوقت هو البداية التى كان يتدخل منها قناصل الدول الاوربية فى (٣) الشئون الداخلية للدولة العثمانية تحت ستار حماية معتنق المذهب الرســـمى للدولة ٠

مطالبة الارمن بتحسين أوضاعهم السياسية :

مع تحسن اوضاع الارمن الاقتصادية والاجتماعية بدأوا ينطلقون لتحقيق تحسن مماثل فى أوضاعهم السياسية لا سيما وقد رأوا شعوبا مسيحية أخرى فى اوربا كانت خاضعة للعثمانين ثم ظفرت باستقلالها الكامل « اليونان » او الاستقلال الذاتى « بلغاريا والصرب » وتحررت من السيطرة العثمانية ٠

والفرق بين الارمن وهؤلاء مساعدة الحكومات الاوربية بينما كانت المساعدات للارمن محدودة لان الاهتمام الاكبر كان بقضـــايا الشـــعوب المسيحية الاوربية أولا ٠

وعلى لرغم من نشاط الارمن ومحاولات المستتمرة فقد تضـــــافرت

عوامل عديدة أدت الى عدم تحقيق كيان سياسى مستقل لهم فى مواجهة الدول المجاورة : فارس وروسيا والدولة العثمانية ٠

وكان من اهم هذه العوامل :

الانقسام الدينى المذهبى بين الارمن ، والتفتت السياسى لارمينية والعامل الثالث وهو الذى يعنينا فى هذا البحث مجاورة الارمن لعناصر مشاغبة فى ارمينية العثمانية : فهم الى جانب الصراع الدينى المذهبى بين الارثوذكس والكاثوليك والبروتستانت ومايترتب على هذا الانقسام الدينى ، التفتت السياسى بين ثلاث دول كبرى متصارعة فيما بينها : روسيا ـ ايران ـ الدولة العثمانية ، بجانب هذا كان من سوء حظ الارمن مجاورتهم للاكراد وهم عنصر مقاتل شرس ، كما كان يجاورهم الشراكسة وهم على شكلة الاكراد وان لم يتفوقوا عليهم شراسة ، كما كان يجاورهم الالبانيون الذين نزح فريق منهم الى الاناضول فى اثناء واعقاب الحرب الروسيةالعثمانية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ وكانوا لايقلون فى ضراوتهم عنالاكراد والشراكسة فتعرضت القرى الارمينية لاعمال العنف من جانب هـؤلاء المشاغبين ، اذ كانوا يهاجمون بيوت الفلاحين الارمن وينهبـون متـاعهم ومحاصيلهم ويعتدون عليهم اذا قـاوموهم معتمــدين على بعد المــدن الارمينية عن استانبول وصعوبة المواصلات معها (٤) ٠

وكانت السلطات العثمانية المحلية فى أرمينيا احيانا ، والحكومة المركزية فى استانبول حينا ، تغمض اعينها عن هذه الاعتداءات المتكررة اعتقادا ان هذا السلوك الارهابى من جانب الاكراد والشراكسة والالبان يؤدى الى استمرار خضوع الارمن للحكم العثمانى ٠

ومن ناحية اخرى تؤكد المصادر التاريخية ان الارمن كانوا يقفون

الى جانب القوات الروسية ضد العثمانية . كما حدث فى حرب ١٨٧٧ والمعروفة بالحرب الروسية - التركية وكثيرا ما طالبوا القياصرة بمد يد المساعدة بمختلف اشكالها الى الارمن فى صراعهم ضد العثمانين وقد بدأ هذا الصراع الشديد منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشروخاصة بعد عبور حوالى ٩٠ ألف ارمنى حدود الدولة العثمانية الى الجانب الاخر من الحدود الروسية (٥) .

تفاقم الخلاف بين الارمن والعثمانين :

هناك اسباب كثيرة ادت الى تفاقم الخلاف بين الارمن والحكومة العثمانية لتكون النهاية هذه الاحداث الدموية التى وقعت فى عصر السلطان عبد الحميد ويمكن ايجاز هذه الاسباب فيما يلى :

١ - انعدام الثقة بين الارمن والعثمانيين :

على الرغم من محاولات الدولة العثمانية استيعاب الارمن واعتبارهم مواطنيين عثمانيين واعطائهم كل الحقوق التى يحصل عليها رعايا الدولة باعتبارهم أهل كتاب ، ولم تستخدم اى وسيلة للضغوط عليهم لترك عقيدتهم ، الا ان الارمن لم يكن ولاؤهم للدولة العثمانية خالصا فى اى يوم من الايام ، بل كان ولاؤهم موزعا بين الانجليز أو الفرنسيين أو الروس وجاء إشتراك الارمن الى جانب الروسيا فى حرب القرم ١٨٥٤ - ١٨٥٦ والحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧ ليقطع اية محاولة لاصلاح ما افسده الارمن قبل ذلك وكانت النتيجة فقدان الثقة بين الجانبين دون رجعة .

٢ - تطلع الارمن الى انشاء دولة ارمينية مستقلة تضم الولايات التى يقيمون فيها بشرقى الاناضول ، وفتح المجال امام بنى جلدتهم

مساندة هذه الدولة بالمال والتأييد الادبى لتأخذ الدولة الإرمينية مكانها بين دول العالم وقد شجعهم على ذلك - كما اسلفنا - النتائج التى حصلها اليونانيون والبلغار والصربيين (٦١) .

٣ - تشجيع بريطانيا لهم أو بمعنى أدق للبروتستانت منهم والقاء التعليمات اليهم للقيام بثورة مسلحة فى المناطق الارمينية والمدن العثمانية ذاتها ، وقد امدتهم بالاسلحة للقيام باعمال ارهابية ضد المسلمين - عثمانيون واكراد - وتقديم الوعود لهم بالمساعدة على قيام دولة إرمينية مستقلة .

ولا ريب ان ثقة العثمانيين بانجلترا قد اضر بهم ضررا بليغا وكانت سببا لحروب عديدة فقدت فيها الدولة العثمانية الشىء الكثير .

وكان لانجلترا فى مساعدة الارمن مقاصد . فهى تريد اظهار الدولة العثمانية بمظهر الدولة الضعيفة العاجزة عن حل مشاكلها دون طلب المساعدة ، كما كانت تريد ارهاب السلطان عبد الحميد الثانى بعد أن شعرت بقوة شخيته واتجاهاته الاسلامية الإصلاحية وهو ما تعتبره مصدر خطر عليها وتهديد لمصالحها (٧) .

وعندما جرت محاكمة الارمن فى عام ١٨٩٣ امام محاكمة انقرة ظهرت هذه الحقائق واضحة وتبين ان انجلترا هى الموعزة للارمن بالثورة والمحرضة عليها .

ويكشف الزعيم مصطفى كامل ان انجلترا كانت تهدف من تدخلها فى مسالة الارمن الى محاولة اثارة باقى الدول الاوروبية ضد العثمانيين وشغلهم عن التدخل فى المسألة المصرية وعدم مطالبتهم بالانسحاب من مصر .

وقد ضبط البوليس العثمانى كاتب اسرار الجمعية الارمينيــــة السرية المدبرة لحركة الثورة الارمينية والتى ارتكبت الكثير من اعمــال الارهاب والقتل . ضبط وبين يديه أوراقه المشتملة على أســماء أكثر الاعضاء واتضح من فحص هذه الاسماء ان الارمن البروتســتانت هم المتزعمون لهذه الثورات بمساعدة بريطانيا (٨) .

٤ ـ موقف الروسيا العدائى من الدولة العثمانية وتشجيعها لكل الثورات التى قامت ضدها ومن بينها ثورة الارمن فى محاولة لخلق المزيد من المشاكل التى تؤدى فى النهاية الى تشتيت جهود السلطان عبدالحميد وتحقيق الاطماع الروسية فى المضايق والبلقان .

وفى مذكرات السلطان عبد الحميد نطالع ما جــاء فيها عن دور الروسيا حيث يقول :

« لم يكن الروس يؤيدون قيام كيان أرمنى مستقل «ارمنستان » فى تركيا لانه فى داخل حدودهم الالاف من الارمن يمكن ان ينادوا فى هــذه الحالة بالانضمام الى هؤلاء الارمن المستقلين ، وحسابات الروس كانت تقوم على تقديم اصبع من عسل الى افــواه الارمن واحــداث غائلة فى تركيا » (٩) .

وقد سبق الحديث عن تعاون الارمن مع الروس فى حرب ١٨٧٧ ١٨٧٨ ولم يخفوا هذا عن احد وكان لهم الاثر فى قتل الكثير من الجنود العثمانيين المنسحبين عندما خسرت الدولة العثمانية الحــرب فى اخــر مراحلها .

٥ — ومن الاسباب الرئيسية لتفاقم الازمة بين الارمن والعثمانيين عجز الحكومة المركزية في استانبول عن كبح جماح الاكراد الذين اعتدوا على مئات من القرى الارمينية ، وخطف النساء الارمينيات والاستيلاء على المحاصيل الزراعية ، واستغلال البكوات والاغوات الاكراد لفقراء الارمن وارهاقهم بالضرائب الباهظة ، والاسوأ من ذلك كله ان العثمانيين احيانا ما كانوا يزودون هؤلاء الاكراد بالسلاح ويشجعونهم للقيام بهذه الاعمال كما صوروا (١٠) لهم ان قتل الارمن جهاد في سبيل الله وتقرب اليه بدمائهم .

٦ — قيام الارمن بأكثر من ثورة داخليـــة ، وتأسيس الكثير من الجمعيات السرية والاحزاب وقد تأسس عام ١٨٨٧ حـــزب « هنجاك » ويعني الجرس أو النافوس وبعده بثلاثة أعوام تأسس حزب « داشناق » ويعني الاتحاد وقد لعب هذان الحزبان دورا كبيرا في الثورات الارمينية المتعاقبة ضد العثمانين ، وفي نفس الوقت قامت الســلطات العثمـانية بأخماد هذه الثورات بقسوه شديدة في كثير من الاحيان .

كما انشئت بعض الجمعيات السرية التي كانت تمـول من قبـل انجلترا أو فرنسا للقيام بعمليات ارهابية ضد العثمانيين .

وان حزب « أرمينيا الفتاة » التي كانت ترمي الى انشاء أرمينيا الكبرى المستقلة الليبرالية . وكان هذا الحـــــزب قد تشرب تلك الافكار في المدارس الفرنسية وبدأ يعمل على أثارة الوعي القومي لدى الارمن وقد نجحت جهودهم في هذا المجـــال آخر الامـر وأدت الى سـن ما سمي « الدستور الارمني لسنة ١٨٦٠ الذي نظم الادارة الداخليـة للطـائفة الارمينية (١١) .

وليس غريبا أن ينادى حزب داشــــناق الارمنى بعد احداث عــام ١٩٠٥ فى روسيا وما تعرض له الارمن على يد الروس وينادى بالقتال ضد كل من القيصر وقوات السلطان عبد الحميد فى آن واحد بعد أن وضع في صميم برنامجه هدفا جـديدا لخلق دولتين أرمينتين مســتقلتين تتحد احداهما مع تركيا والاخرى مع روسيا •

وقـد صرح الباردين « تولـدى » الروسى أمام الجمعية الوطنيـة الروسية بعد أن تعاظم خطر الارمن قائلا : « يجب القضـــاء على هـذه الوحدة التى تقاتل على ثلاث جبهات فى آن واحد والتى تغزى فى نفس الوقت الحركات الثورة فى امبراطوريات ثلاث (١٢) •

٧ — اشتراك كثير من الارمن فى المنظمات الســياسية المناوئة لنظام السلطان عبد الحميد ، وقد ساندوا الاتحادين الذين رفعوا شعار « الحرية والعدالة والمساواة » لكسب الارمن وغيرهم الى جانب حركتهم وأثبتت التحقيقـــات أن ثوار الارمن كانوا ينشرون فى أنحـاء الدولة العثمانية اعلانات بأسمهم أحيانا وباسم مسلمين فى أحيان كثيرة تحرض على اشهار العداء للسلطان عبد الحميد والمناداة بخلعه وكان يحتمون فى وقوف بعض الدول الاوربية الى جانبيهم •

وعلى الرغم مو موقف الارمن المساند للاتحادين فقد واجهوا من المتاعب فى سنوات حلمهم أضعاف ما واجهوه فى العصر الحميدى (١٣) •

٨ — ويرى البعض أن دعوة الجـامعة الاســلامية التى نادى بهـا السلطان عبد الحميد الثاني واتخذها اساسا لسياسته كانت من أهم الاسباب التى دفعت الارمن للقيام بالثورة حيث اعتقدوا أنهم سيكونون فى خطر باحاطتهم بحزام « اسلامى » من كـل جـانب وأن قيـام تكتـل

اسلامى على هذا النحو سيؤدى الى قوة العثمانين ويقضى على آمال الارمن فى انشاء دولة مستقلة (١٤) .

٩ - ولعل من أهم أسباب ثورات الارمن ما ظهر من بوادر يقظـــة وطنية ذات صيغة دينية فى أول الامر غلب عليهـــا بعد ذلك الطـابع العلمـــانى .

وكان مرد هذه اليقظة الى البعثات التنصيرية والتعليمية الوافدة من أوربا والولايات المتحدة الامريكية .

وعمل هؤلاء الارمن على تطوير حياتهم الثقافية واحياء الدراسـات الارمينية القديمة وأهتموا بنشر الانجيل باللغة الارمينية الوطنية ، وعنوا ايضا ببعث لغة أدبية تستطيع الجماهير الارمينية تعلمها والتحدث بها واذا كان بعض هؤلاء الارمن قد طالب باستقلال ذاتى فى نطاق الدولة العثمانية فقد كان عددهم قليلا بالنسبة الى الذين طـالبوا بالاسـتقلال الكامل ولاسيما من الارمن الكاثوليك والبروتستانت .

أما ما أعلنه الارثوذكس فقد ظلوا على ولائهم للدولة العثمانية حفاظا على أوضاعهم الاقتصـــادية أو مراكزهم الاجتمـــاعية التى اسـندت أليهـــم (١٥) .

١٠ - ويكشف المؤرخ الكردى المعاصر - كمال مظهـر - عن سبب آخـر لقيام الارمن بنشاطهم الارهـابى ضـد العثمانيين وهو أنهم عندما تاكدوا ان حصولهم على مساندة لقضـيتهم بين الدول الاوربيـة لم يكن كافيا لتحقيق حلمهم باقامة دولة مستقلة بدأوا يكثفون نشاطهم ويعتمدون على أنفسهم بصورة أكبر فكونوا جمعيات سرية أرمينية فى بعض المدن العثمانية الكبـرى وفى بعض الولايات الخاضعة للعثمـانيين ، وأمتـد

نشاطهم الى انشاء جمعيات ارمينية فى بعض العواصم الاوربية والحقيقة أن ميل الارمن وتطلعهم الى مساندة الدول الاوربيـة لم يتوقف لحظـة واحدة وأن ثوراتهم كانت تهدد الامن الداخلى فى الدولة العثمانية ولم يكن أمام السلطان عبد الحميد غير التصدى لهم واستخدام القوة لوقف أعمالهم التخريبية فكثيرا ما عوملوا على أنهم « ملة صادق » أى اصدقاء العثمانيين ولكنهم على الرغم من ذلك دأبوا على القيام بهذه الانشطة المدمرة

ومن ناحية أخرى كان فى مكنة العثمانين معالجة المسألة الارمينية بطريقة أكثر دبلوماسية وهدوء وذلك بالاسـتجابة لبعض مطـالبهم المشروعة ووقف هجمات الاكراد على قراهم والتخفيف من حـدة القيود المفروضـة عليهم (١٦) ·

مطـالب الارمن :

يمكن معرفة مطالب الارمن فى عصر السلطان عبد الحميد الثانى من خلال تلك المذكرة التى قدموها الى سـفراء الدول الاوربيـة فى استانبول عام ١٨٩٦ ويشمل :

أولا : تشكيل لجنة جديدة أو لجان ، تتولى التحقيق فى أحداث المذابح التى وقعت فى الولايات الارمينية الست ·

ثانيا : تعين ولاة مسيحين لحكم الولايات الارمينيـة وأن يـكون نوابهم بلقب قائمقام وأن يكونوا مسيحين أيضا ·

ثالثا : تشكيل قوات مسيحية من الشرطة والجندرمة تحل محل القوات الاسلامية العثمانية فى الولايات الارمينية ·

رابعا : اعفاء الارمن من جميع الضرائب لمدة خمس سنوات ثم

تخفيض هذه الضرائب بعد انقضاء فترة السنوات الخمس بنسبة ٨٠٪ ويدفع الارمن ٢٠٪ من الضرائب المقررة عليهم تعويضا عن الخسائر الفادحة التى تحملوها فى الارواح والاموال الثابتة والمنقولة

خامسا : أصدار عفو عام عن جميع الارمن مرتكبى حوادث المذابح والعمليات الثورية أو المتهمين فيها ، وارجاع كافة الممتلكات التى صادرتها الحكومة العثمانية الى ذويها ٠

سادسا : زيادة الاعتمادات المالية التى تخصصها الحكومة المركزية فى استانبول للانفاق الحكومى فى الولايات الارمينية الست فى مجال انشاء المدارس على أختلاف درجاتها ونوعياتها وكذلك المشروعات ذات المنفعة العامة (١٧) ٠

وهذه المطالب فى مجموعها يمكن القول أنها تعسفية وغير معقولة لو استجاب لها السلطان عبد الحميد وحكومته لاهتز مركزه فى نظر رعاياه اهتزازا عنيفا ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد حاول السلطان تخفيف حدة التوتر ليمنع وقوع مصادمات جديدة ويحول دون تدخل الدول الاوربية فبدأ فى تعين ادارين مسيحين فى الولايات الست فى شرق الاناضول مع أن سكانها المسيحين كانوا يشكلون أقليات عددية بالنسبة لغالبية السكان المسلمين (١٨) ٠

وعلى الجانب الآخر رأى السلطان ضرورة اتخاذ خطوات أخرى أكثر فاعلية لمواجهة الاضطرابات والمذابح التى يرتكبها الارمن فى شرق الاناضول ٠

وكان من أهم هذه الخطوات تعزيز القوات الكردية والتركمانيه

لمواجهة العنف الارمني وذلك من خلال ما عرف باسم «الحرس الحميدى» أو « الفرسان الحميدية » كما يطلق عليها البعض (١٩) ٠

والذى يعنينا فى هذا المجال أنه على الرغم من النشاط الشورى المكثف للارمن لم تكن للعمليات الارهابية التى قاموا بها نتيجة عملية لحل قضيتهم أو حتى تصعيدها الى المستوى الدولى باستثناء تلك المادة رقم ٦٠ فى اتفاقية سان أستفانو والتى تطالب الدولة العثمانية باجراء بعض الاصلاحات فى الولايات الارمينية ٠

وقد ظلت القضية الارمينية اقليمية وكان من أسباب هذا الاخفاق عاملان هما :

العامل الاول ان مركز الارمن كان يختلف عن مركز البلغار والعرب فبينما كان هذان الشعبان يشكلان كثافة سكانية فى بلادهما ، لم تكن توجد فى جميع أنحاء الدولة العثمانية بعامة والولايات الارمينية بخاصة أغلبية عددية من الارمن ، كان يشاركهم فى الاستيطان اليونانيون والاكراد والشراكسة والاتراك العثمانين وغيرهم باستثناء ولاية فان » ٠

أما العامل الثانى فان قيصر الروسيا اسكندر الثالث قد أدرك أن رسائله فى اضعاف الدولة العثمانية بتشجيع الارمن كان يصحبها ويلحقها نشر مبادىء ثورية من الممكن أن تؤدى الى قيام ثورات بين رعاياه الروس أيضا ، ولذلك كف قيصر الروسيا عن تأييده للارمن وأمام هذين العاملين رأى الثوار الارمن تصعيد عملياتهم الارهابية لاجبار أغنياء الارمن على تأييد حركتهم الثورية بمدهم بالاموال والا تعرضوا للقتل على يد أعضاء الجماعات الثورية الارمينية ، وأن تكون مذابحهم للمسلمين على أوسع نطاق بحيث يضطر المسلمون الى

الاخذ بالثار والانتقام من الارمن مما يؤدى الى حمل بريطانيا وروسيا على التدخل لحمايتهم ، وحاولوا من ناحية أخرى أن يبددوا ثقة السلطان عبد الحميد فى موظفى الدولة الارمن بالضغط عليهم لتاييد القضية الارمينية ٠

وقد أظهرت التحقيقات فى قضايا المذابح التى ارتكبها الارمن أنهم كانوا يجمعون الاموال باسم المستشفيات المراد انشاؤها وكانوا ينفقونها على شراء الاسلحة ونشر الافكار الثورية وترويجها بين الارمن وحتى رجال الدين الارمن والرهبان كانوا يساعدونهم ويسكنون بعضهم فى الكنائس (٢٠) ٠

الجمعيات الارهابية الارمينية :

بدأت الثورات الارمينية بداية هزيلة بقيام الفلاحين فى عام ١٨٦٢ بانتفاضة ضد مظالم العثمانين فى منطقة زيتون وفى العامين ١٨٧٨ و ١٨٨٤ انتفض سكان هذه المنطقة مرتين اخريين ٠ كما قامت ثورات أخرى محدودة فى عام ١٨٨٦ وقد نجح العثمانيون فى قمع هذه الانتفاضات وغيرها ٠

وكان من الاسباب التى تسهل مهمة قمعها هو ضعفها التنظيمى واختلاف الارمن فيما بينهم وهذا ما حذا بالارمن الى التفكير فى اقامة منظمات خاصة بهم ، وفكروا فى نقل نشاطهم الارهابى الى خارج أراضى الدولة العثمانية (٢١) ٠

وتكونت جماعتان لقيادة المقاومة احداهما جمعية الناقوس أو الجرس ويطلق عليها اسم « هنشاق » ، وقد تكونت فى ١٨٨٧ فى

جنيف وقوامها عديد من الطلاب الارمن الذين يدرسون فى سـويسرا وفرنسا وأصدرت جريدة ثورية كان يشرف على تحريرها « نزاريكبان لسرن » الذى نشر رسالة فى عام ١٨٨٩ يقول فيها :

« من الواضح قبل كل شيء أننا فوضيون وأن لنا رغبة وطيدة مبينة فى لوائحنا وهى نشر مبادىء الفوضى فى بلاد الاناضول هذا هو الهدف الاساسى ، وأن هدفنا أيضا انشاء حكومة مستقلة فى تلك البلاد والحصول على الحرية السياسية فى أوسع نطاق » ٠

وجاء فى المادة السادسة من لائحة هذه الجمعية « يجب على كل لجنة أن تعين رئيسا للجواسيس من بين أعضائها على شرط ان يكون من موظفى الحكومة أو تكون له رابطة وعلاقة بموظف ارمنى فى الحكومة ليتمكن من نقل أسرارها وتفاصيل ما يدور داخلها الى اللجنة ، ويشترط فى تعين ذلك الرئيس أن يكون من ذوى الشهامة والقدرة على كتمـان الاسرار وينبغى أن يكـون تحت ادارته عشرة جواسيس ينتخبـون من أصدق رجال الجمعية ليقوموا باخبارنا أولا بأول بما يكتنفها من المخاطر وعليهم أن يدخلوا فى كل مكان متنكرين بحيث يكون زى التنكر للواحد منهم مختلفا عنه للآخر ويعدوا مشروعاتهم فى الخفاء وتكون المداولات المختصة بهم منحصرة بين اللجنة وبين رئيسهم » ٠

وتقضى المادة السابعة بتعيين خطباء يخطبون بين الجماهير لحضهم على الثورة والاخلال بالامن ٠

أما المادة الثامنة من لائحة هذه الجمعية الارمينية فتقول : « يجب ان يكون لكل لجنة منفذ يكون تحت امرته جماعة من المساعدين والواجب المفروض على هذا المنفذ وعلى مساعديه أن يقوموا باعدام من ترى فيهم

اللجنة أنهم يضرون بها سواء كانوا من الارمن أو غيرهم ، وذلك حتى صدر قرار اللجنة قاضيا باتخاذ هذه الوسيلة :

وتضيف هذه المادة ان أنواع العقـــاب ثلاث : التوبيخ والضرب بالعصى والاعدام • وهذا النوع الاخير ينفذ اما بالخنجر وأما بالخنـق وأما بالسم • وخلال نسف المنازل والمبانى يجب استعمال أولا القنـــابل الديناميتية

ثانيا : الديناميت السائل

ثالثا : قنابل الحريق المملوءة بالبارود

وجاء فى المادة ٩ : « يجب ان يكون لدى اللجنة واحد من اعضائها تنحصر اختصاصاته فى غرس بذور الفتن وتحريض الضعفاء على الاقوياء حتى تعم الفتنة وينتشر الاضطراب » (٢٢) •

أما الجماعة الاخرى فيطلق عليها « داشناكس » بمعنى الاتحـــاد الثورى الارمنى وقد تكونت فى الروسيا عام ١٨٩٠ وضمت جميع الارمن الروس بعد ان تعرضوا لالوان شتى من الكبت والاضطهاد على يد قيصر روسيا اسكندر الثالث •. وكان برنامج هذه الجمعية يقوم على تكـــوين مجموعات عمل يتسلل افرادها الفدائيون الى داخل الاراضى العثمانية ، ويثيرون الفزع فى نفوس الموظفين العثمانيين المسلمين والارمن على حـد سواء ، ويرتكبون مذابح عامة بين المسلمين اعتقادا منهم ان هذه الجرائم تؤدى الى تصعيد الموقف وتدخل الدول الاوربية لصالح القضية مما يساعد فى النهاية على انشاء جمهورية ارمينية اشتراكية مستقلة •

وبجانب هاتين الجمعيتين كانت هناك اللجنة الارمينية الانجليزية والتى اوعزت اليهم تفريق منشورات يدعون فيها الاهالى علنا الى الثورة وقد أسس بعض اعضاء هذه اللجنة مطبعة سرية ، وتم تدريب عدد من

الشباب مبادىء الفوضى ، ووزعت عليهم الاسلحة والنقود واعطيت لهم التعليمات بمهاجمة القرى التى تسكنها اغلبية مسلمة ٠

وكان من اخطر الجمعيات الثورية الارمينية تلك التى تأسست فى تبليس ٠ حيث كانت ترسل المسدسات وسائر الاسلحة والذخائر من باطوم ٠ بينما كان الارمن الذين يعيشون فى ايران يرسلون عمــلاء يعبرون الحدود ويثيرون بعملياتهم الارهابية ذعر اهالى القرى المسلمين ٠

وقد استمرت العمليات الارهابية بين الجانبين عدة سنوات ابتداء من عام ١٨٩٠ ووصلت الى قمتها فى عامى ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ٠

مذبحة منطقة ساسون :

تقع منطقة ساسون فى الجنوب الغربى من ولاية تبليس حيث يقطنها كثير من الارمن الاشداء ٠ وكان يوجد بها قبائل رحل من الارمن يميلون الى السلب والنهب ولما أراد الوالى العثمانى ان يجمع المتاخرات من الضرائب المقررة عليهم اصدر اعضاء جماعة الجرس أوامرهم الى رجال القبائل الارمن باستخدام السيوف واطلاق النار على جامعى الضرائب ٠

واسرعت قوات الامن والجيش العثمانى والقوات الحميدية للسيطرة على الموقف فهرب الثوار الى الجبال تفاديا لاشتباك حربى كانوا يعرفون نتيجته مسبقا ، وزحفوا فى طريقهم على القرى العثمانية يعمــلون فى سكانها المسلمين القتل والنهب ، وبعد وصول المعلومات الى السلطات المركزية فى استانبول ارسلت قوات بقيادة المشير زكى باشا الذى عزز قواته بمجموع من الاكراد المتحمسين للدفاع عن اخــوانهم فى الدين وهالهم ماحل بالمسلمين فى ساسون والقرى المجاورة لها وكان أول مافعله زكى باشا تدمير ساسون وقتل من بقى بها من الارمن وتم تدمير أكثر من اربعين قرية وقتل فى هذه المذابح بضعت الاف من الجانبين (٢٤)

وقد بالغت الدعاية الارمنية فى تقدير الخسائر فأكدت ان قتلى الارمن وحدهم بلغوا اكثر من عشرين الف ارمنى وحتى تتضح الحقائق هذه شهادة محايدة عن احداث ساسون جاءت فى جريدة نيويورك هيرالد « ان الثائرين الارمن الذين ظهروا فى جبال تالورى الواقعة بين ساسون فى الجنوب الشرقى من موش « ولاية تبليس » وبين مركز كال من متصرفية حوانج قد اجتمعوا فى تلك الجهة بارشاد وتحريض من شخص اسمه « مير سوم او مرديان » لاثارة الفتنة بها وهمير سوم هذا ولد ببلدة هاجين « ولاية اطنة » وتفرغ للدراسة الطب بمدرسة الحكماء . فى الاستانة ومنها الى جنيفة — كذا — وبعد ان قام بها مدة تنكر بأحد الازياد وانتحل اسما غير اسمه ثم عاد الى ولاية تبليس عن طريق اسكندرونة وديار بكر واخذ يحرض الجمهور على الثورة والاضطراب وكان يساعده على هذا الفساد خمسة اخرون من بنى جنسه وكان همرسوم يؤكد للاهالى بان الدول الاوربية قد اناطت به مأمورية مهمه ودى دك اركان النفوذ العثمانى ودأب على الكلام بهذا المقال حتى استمال اليه قلوب الارمن القاطنين فى قرى سبرو سماى وجلل حلزان وآهى ..وفى اواخر شهر يوليو ١٨٩٤ بارح أولئك المغرورون بلادهم بعد ان وضعوا نساءهم وأولادهم وأموالهم فى جهات امينة والتقوا بالثائرين الارمنيين من موش ومحلتى كامل وسلفان وهناك تم الاتفاق على ان خمسمائة أو ستمائة منهم يهجمون على بلدة موسى فزحفت هذه الفرقة على قبيلة وليكان المستقرة بالقرب من سفح جبل كولنك جنوبى موش فسلبت اموالها وقتلت كثيرا من رجالها واستعملت فى قتل المسلمين منهم اساليب التعذيب التى لاترد على خواطر المتوحشين والبربريين » وتضيف الصحيفة « وانتهكت حرمات النساء المسلمات الساكنات فى قرية جزل حوزان وعذبت المسلمين

والحقت بهم النكال واكرهتهم على تقبيل الصليب وسلمت عيونهم وجدعت انوفهم وصلت آذانهم واذاقتهم من العذاب الوانا واشكالا » (٢٥)

وتكشف لجنة التحقيق التى شكلت بناء على طلب انجلترا واشترك فيها مندبون عن روسيا وفرنسا على ان الارمن جنحوا الى الاضطراب بتحريض محرضين جاؤا من الخارج لهذا الغرض ووزعوا عليهم اسلحة انجليزية متكررة الطلقات وارتكبوا معهم بعد ذلك اقصى مايرتكب من الجرائم والآثام فى اوقات الثورة كالاحراق والقتل والسلب ثم اعتصموا بالجبال الشاهقة للتمكن من مقاومة الجنود العثمانيين النظاميين » وقد اثبتت اللجنة فوق هذا الاعتراف ان الحكومة العثمانية بارسالها القوة العسكرية لاخماد الثورة قد علمت بمقتضى ما يخوله لها القانون ·

وهكذا تتفق صحيفة « نيويورك هيرالد » مع لجنة التحقيق الدولية على ان الارمن كانوا هم البادئين وانهم ارتكبوا فى حق المسلمين من المذابح اكثر بكثير من رد الفعل ضدهم ، وان الحكومة العثمانية فى محاولتها ايقاف اعمال العنف قد طبقت قوانين البلاد المحلية وفعلت ما تفعله كل الحكومات للحفاظ على الامن وحماية ارواح مواطنها (٢٦)

احداث عام ١٨٩٥ فى استانبول :

فى يوليو عام ١٨٩٥ وبعد ان ظهر تقرير اللجنة الدولية وكان صدمة للارمن ، قرروا نقل نشاطهم الارهابى الى العاصمة العثمانية «استانبول» واثاروا الاضطرابات وقتلوا اعدادا من سكانها المسلمين كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ، وقد بدأت مظاهراتهم فى استانبول فى ٣٠ سبتمر ١٨٩٥ تحمل شارات الدول الاوربية المساندة لهم ثم اتجهت الى مبنى الباب العالى وقد الهبت المظاهرة مشاعر العثمانيين وأراد السلطان عبد الحميد ارسال

قوات من الشرطة لتفريق المظاهرات الارمنية واعادة الامن والنظام ولكن السفراء الاوربين حذروا السلطان من مغبة هذا العمل - وكان هذا من الاخطاء الفادحة التى ارتكبتها الحكومة العثمانية فقد تفاقم الموقف وحدثت مقتلة كبيرة بين الارمن والعثمانين فى شوارع العاصمة وزادها اشتعالا مرور آلاف من اللاجئين العثمانيين فى شوارع استنابول وفدوا من بلغاريا والصرب ،كما ساعد على تفاقمها انتشار نبأ مقتل احد رجال الشرطة على يد المتظاهرين الارمن (٢٧) ٠

اعلان الاحكام العرفية :

لم يكن امام السلطان عبد الحميد بعد تفاقم الموقف الى هذا الحد سوى اعلان الاحكام العرفية حماية لارواح المواطنين عثمانيين وارمن وتقدير بعض المصادر قتلى « استانبول » باكثر من ١٥ الف شخص من الجانبين وان المذابح انتقلت الى مدن ارمينيا الغربية والمدن الاخرى التى كان يقطنها ارمن مثل مرعش وديار بكر ومدن كثيرة اخرى غيرها ٠ وطبقا لما جاء فى بعض المصادر استمرت المذبحة فى ديار بكر وحدها ثلاثة ايام من اول نوفمبر من عام ١٨٩٥ قتل خلالها حوالى ٣ آلاف ارمنى ٠ كما دمرت عشرات القرى واغتصبت عشرات الارمينيات ٠

وقد اشترك بعض القتلة واللصوص - مستغلين الحالة الامنية المتدهورة - وقاموا بالكثير من اعمال النهب والسلب والتخريب ٠

وتبالغ بعض المصادر الاخرى فتذكر على لسان القنصل الروسى فى استانبول من خلال رسالة وجهها الى وزير خارجية روسيا ان عدد الاطفال الذين تيتموا نتيجة لتلك الاحداث المفجعة بلغ مالا يقل عن خمسين الفا طفل من الجانبين ٠

ولاشك أن هذه الاحداث الاخيرة أثارت الى حد كبير قلوب الارمن حتى من كان فيهم على ولائه للدولة العثمانية فاعلنوا عداءهم بصورة علنية لحكم السلطان عبد الحميد وأخذوا يساندون بحماس شديد المنظمات المناوئة لنظام الحكم ، وخاصة جماعة الاتحادين وكثيرا ما حدث ان اختبأ زعماء تلك الحركات عن أنظار عيون السلطة بين الارمن .

ومن الغريب أنه لم يمض وقت طويل بعد استيلاء الاتحادين على السلطة وعزل عبد الحميد حتى وقعت مذبحة أكثر شراسة للارمن فى مدينة أطنه وأن الاتحادين قاموا بحملة لاعتقال آلاف الارمن للبحث عن مدبرى هذه الحوادث .

ولو قرأنا المذكرات المنسوبة الى السلطان عبد الحميد لوجدنا تفصيلا لهذه المذابح ودور الدول الاوربية فى تشجيع الارمن على ارتكابها وقد جاء فيها « عندما عرف الارمن أنهم لن يستطيعوا الوصول الى مبتغاهم بالاعمال التى قاموا بها فى الاناضول دفعوا بعصاباتهم وجمعياتهم الى استانبول وعملوا على أثارة المتاعب فيها ونجحوا فى هذا لكن الدول الكبرى كانت تعرف أننى لن أعطى الاستقلال الذاتى لهؤلاء الارمن المبعثرين الذين لا يكونون أكثرية فى أى مكان قط . وكانت تعرف أننى ساستطيع أن أضع عينى على كل شيء ، وهم يفقدون القوة التى تساعدهم على دخولهم فى حرب ، بسبب ما بينهم من تنافس .

لهذا كانت المسألة الارمينية مقلقة لتركيا ، فهى ظلت تسمح للدول الكبرى بالتدخل فى شؤون تركيا حتى السنوات الاخيرة ، ولكن الصحف الاوربية كانت تضع بصماتها على هذه المسألة أيضا ... كانت تكتب فيها بشكل دائم ، وتهاجمنى وتلقبنى بالسلطان الاحمر ، وكانت تحرض الرأى العام العالمى ضدى . وهكذا اصبحت المسألة الارمينية من

المسائل التى تشغل الرأى العام العالمى لكنها لم تكن بالمسألة الجـادة عالميـا ٠٠٠ » (٢٩)

لم أكن أدهش لقيام الارمن بحب الاستقلال ، خاصة بعد معرفة اثارة الدول الكبرى لهم بلا توقف لكنى أدهش لان بعض أفراد تركيا الفتاة الذين هربوا الى أوربا وأصدروا هناك صحفا ضدى كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الارمينية ، كما أدهش لانهم كانوا يأخذون منها أموالا أيضا ٠٠٠ كانوا يقولون أنهم يريدون انقاذ الدولة العثمانية من التمزق ، ثم يتعاونون مع الذين يعملون على تفتيت الدولة ويتعاهدون معهـم » (٣٠) ٠

اعمال عنف أخرى قام بها الارمن :

بعد أحداث أعوام ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ الدامية قام الارمن فى عـام ١٨٩٦ بهجوم على فرع البنك المركزى العثمـانى فى احدى ضـواحى استانبول ووضعوا القنابل فى أنحاء المبنى وأخذوا عـددا من الموظفين بالبنك رهائن عندهم ، وطالبوا بحمايتهم واعطائهم الامان حتى مغادرة البـلاد الى باريس ٠

ولم يكتف الارمن بذلك بل حاولوا اغتيال السلطان عبد الحميـد عند ذهابه الى مسجد محمد الفاتح لاداء صلاة الجمعة وقاموا بالقاء قنبلة على موكبه ولكنه نجى من هذه المحاولة التى قتل فيها عشرون شخصا من حرسـه الخاص (٣١) ٠

ولكن على من تقع مسئولية هذه المذابح وأعمال العنف التى وقعت من الجانبين ٠٠٠ لاشك أنها تقع على عاتق الارمن المتعصبين الى درجـة غير معقولة ، كما أنها تقع على عاتق الدول التى سـاندتهم ووقفت الى جـانبهم وكان سـفراؤها فى العاصـمة العثمـانية يجتمعـون

ويتشاورون دون مشاركة الجانب العثماني ، كما يتحمل السلطان عبد الحميد نصيبا في تفاقم هذه الاحداث باطلاقه العنان للقوات الحميدية « حرسه الخاص » في استخدام الشدة المتناهية في اخماد هذه الثورات :

وأخيرا يمكن القول أن هذه الاحداث والمذابح كان لها أثرها على هجرة عشرات الآلاف من الارمن الى مصر وايران وبعض الدول الاوربية والى أمريكا الشمالية ، كما أنها أدت الى تصميم الارمن على الانتقام من السلطان عبد الحميد ومن الاكراد وقد واتتهم هذه الفرصة عند خلع السلطان على يد الاتحاديين ثم كانت الحرب العالمية الاولى وفيها شارك الارمن الى جانب روسيا وارتكبوا مذابح هائلة ضد الاكراد (٣٢) .

هوامش الفصل الرابع
ثورات الارمن
ابان القرن التاسع عشر

(١) خازر ياسين أحمد : مشكلة الارمن ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٨٩ ، ص ٤٢

(٢) آداموف : سابق ، ص ٢١٦

(٣) د. عبد العزيز الشناوى : جـ ٣ ، سابق ، ص ١٥٤١.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٤٨

(٥) أمين سامى — سابق ، ص ١٤٩.

(٦) د. كمال مظهر : سابق ، ص ٢٤٥

(٧) الزعيم مصطفى كامل : المسألة الشرقية ، مطبعة اللواء ، ط ٢ ١٩٠٩ جـ ٢ ، ص ١٧٩

(٨) المرجع السابق ، ص ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(٩) مظهر : سابق ، ص ٢٤٦ .

(١٠) جليلى جليل : سابق ، ص ٣٦

(١١) آداموف : سابق ، ص ٢٢١.

(١٢) خازر ياسين : سابق ، ص ص ٦٥ — ٦٦ .

(١٣) مصطفى كامل : سابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٧

(١٤) الشوابكة : سابق ، ص ٢٤٩ ، د. احمد عبد الرحيم مصطفى سابق ، ص ٢٥٢

(١٥) د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، جـ ٣ ، ص ١٥٤٢.

(١٦) الشوابكة : سابق ، ص ٢٥٠

(١٧) مصطفى كامل : سابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ .

(١٨) د٠ الشناوى : سابق ، ص ص ١٥٨١ ـ ١٥٨٢

(١٩) د٠ كمال مظهر : سابق ، ص ٨٥

(٢٠) بول أميل : تاريخ أرمينيا ، ترجمة شكرى علاوى ، بيروت ، ص ٥٣ ٠

(٢١) مصطفى كامل : سابق ، ج ٢ ، ص ٢١١

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٢١٤

(٢٣) آداموف : سابق ، ص ٢٢١

(٢٤) مظهر ، مظهر : سابق ، ٢٤٧

(٢٥) فائز الغصين : المذابح فى أرمينيا ، بيروت بلا ، ص ص ٨ ـ ١٠

(٢٦) مصطفى كامل : المسالة الشرقية ، سابق ، ص‌ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤

(٢٧) د٠ كمال مظهر : سابق ، ص ٢٥١

(٢٨) د٠ عبد العزيز الشناوى : سابق ، ص ١٥٧٤

(٢٩) مظهر : سابق ، ص ٢٥٢

(٣٠) محمد حرب : مذكرات السلطان عبد الحميد ، سابق ، ص‌ص ٥٥ ـ ٥٦ ٠

(٣١) مصطفى كامل : سابق ، ص ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩

(٣٢) رفيق شاكر : سابق ، ص ١٨٥

الفصل الخامس

العلاقات الكردية ـ الأرمينية
فى العصر الحديث

يتشابه تاريخ الارمن والاكراد ، والاحداث التى مرت على الشعبين من عدة وجوه فلم يستمر استقلال الارمن طويلا فمنذ خسروا سيادتهم على أرضهم وقعوا فى أيدى القوى الاجنبية وغدا وطنهم جزءا من مملكة الرومان •

كما أنه وقع فى قبضة الفرس مرات عديده ، وفى العام ٣٨٧ قسمت بلادهم بين الدولتين الساسانيه والبيزنطيه • وفى بداية القرن الثامن صارت أرمينيا جزءا من الدولة العربية الاسلامية •

وفى منتصف القرن الحادى عشر وقعت من جديد فى قبضة البيزنطيين ثم السلاجقة مما تسبب للارمن فى محن كثيرة • وحمل اليهم المغول والتتر فى أواسط القرن ١٢ قدرا غير يسير من الدمار والخراب وفى الفترة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر كانت أرمينيا أهم ميادين التوتر والحروب بين العثمانين والصفوين والروس بعد ذلك مما جلب للارمن مزيدا من التخلف (١) •

وعلى الجانب الآخر فان الاكراد على الرغم من استقلال بعض الامارات الكردية فانهم لم ينجحوا يوما فى أقامة كردستان المستقلة وظلوا حتى اليوم موزعين بين تركيا وايران والعراق وسوريا والاتحاد السوفيتى ولكنهم ـ مثل الارمن ـ لم تتوقف احلامهم فى تكوين دولة مستقلة تجمع شتات الاكراد المبعثرين هنا وهناك (٢) •

ولاشك أن أى تحليل على العـلاقات الكردية الارمينية يجب ان يأخذ بعين الاعتبار الاسباب التى كانت توحد الشـعبين والتى كانت تفرق بينهما .

وتعود العلاقات بين الارمن والاكراد بوصفهما شعبين يعيشـان في جوار منذ عهود قديمة ، وبعد الفتح الاسلامى صارت كلتاهما جزءا من الـدولة الاسلامية لتنعما بفترة من الهـدوء والسـلام الى ان كان التنافس الايرانى العثمانى لتصبح كردستان وأرمينيا عرضة لتغيرات ايجابية أو سلبية مستمرة .

وهناك عوامل تباعد بين الارمن والاكراد أهمها تعصب الارمـن الدينى فلم يكن اختلاف الاديان بين البشر فى أى وقت سببا فى ظهور الخلافات والتناقضات ولكن تعصب كل من الارمن والاكراد لدينهم هو الذى خلق مثل هذه التناقضات (٣) .

ويرى المؤرخ الكردى - كمال مظهر - أن هناك سببا آخر يفصل بين الاكراد والارمن ألا وهو تقدم الطائفة الارمينية بالقياس الى الاكراد حيث مر هؤلاء بمرحلة العبودية منذ زمن بعيد وأقاموا أسس حضارتهم وإستقلالهم واجتازوا عهد الاقطاع قبل الاكراد بفترة طـويلة وسنحت لهم الفرصة فى العصور الوسطى أكثر من مرة للتمتع بالاستقلال وكان للارمن أدبهم المتطور وأبجديتهم المتميزة . والاسـباب عـديدة سبقت أرمينيا كردستان فى الاندماج بالسوق الرأسمالية ولذلك حدثت تغيرات كبرى داخلية فى المجتمع الارمنى بينما بقى الاكراد مجتمعـا متخلفـا بالقياس الى جيرانهم (٤) .

وكانت الصناعات الحرفية المحلية شـأنها شأن التجـارة فى كردستان تحت سيطرة الارمن الذى تفوقوا فى هذا المجال على الاكراد .

إلى جانب ذلك هناك عوامل فعــالة كان من الممكن أن تقرب بين الاكراد والارمن لاسيما الجماهير الشعبية من الجــانبين فقد تعرض الجانبين لاضطهاد مستمر تحت حكم الشاهانات الصــفويين من جهـه والسلاطين العثمانين من جهة أخرى .

فالشاه عباس الكبير الذى حرم الوف الارمن من وطنهم ، هـو نفسه الذى فعل بالاكراد ما هو أدهى وأمر والسلاطين الذين سدوا كل أبواب الرقى والتقدم بوجه الاكراد هم أنفسهم الذين كانوا يوقفــون عجلة التقدم بالنسبة للارمن (٥) .

وهناك عامل آخر يترك أثره ويقرب بين الجمــاهير الــكردية والارمينية وهو ما تعرض له الفلاحون الاكراد والارمــن الذين كـانوا يدفعون الضرائب على خزانة واحدة وكانت وطأة الضرائب تشتد عليهم يوما بعد آخر وتؤدى الى أفلاس وفقر الفلاحين الارمن والاكراد وعدم قدرتهم على دفــع الاتاوات التى كانت تفــرض عليهم ، وكثــيرا ما كــان الاقطاعيون يلجأون الى تسخير هؤلاء الفقراء للعمــل دون مقــابل ومن الجــدير بالذكر أن هؤلاء الاقطــاعين تمثلوا فى البكوات والاغــوات الاكراد وعدد من الباشوات العثمانيين ... (٦) .

وهذا قنصل روسيا فى أرضروم يكتب فى احدى مراســلاته الى حكومته « ان الاكراد والارمن يدفعون ضريبة على الملكية والمســكن ، الدخل النفوس ، يدفعون هذه الضرائب دون معــرفة مغــزاها وحتى مقدارها فالغالبية العظمى من السكان لا تفهم ذلك على الاطلاق : وكان جباة الضرائب ينتهزون هذه الفرصة فيهينون الفلاحين ، ولم يؤخذ بعين الاعتبار نقص عدد السكان فى القرى ووضــع أملاكهم أثنــاء جمع الضرائب (٧) .

وهذه رسالة وجهها أحد زعماء الارمن الدينين من موشى الى الحبر الاعظم للارمن الكاثوليك تحدث ضمن ما تحدث عنه ، عن أن الكادحين الارمن والاكراد يعانون معا من وطأة جباة الضرائب فيقول : انه فضلا عن كل ما نحن فيه من بؤس وشقاء ، فان قضية المظالم التى يرتكبها بحقنا الملتزمون قد ارهقتنا الى حد كبير ، انهم ينهبون الفلاحين الارمن والاكراد معا بحجة ضريبة العشر ، فعندما يأتون الى الحقـــول لـمدة أسابيع يأخذون الحنطة المدروسة لهم دون أن يكيلـــوها ويطـالبون بضرائب أكبر حتى يأخذوا حصتهم (٨) ٠

وفى الفترة الاخيرة بلغ الامر أن الاقطـــاعى الذى كان يســتغل الفلاح الكردى هو ذاته الذى يظهر الفلاح الارمنى أيضا ٠ فقد صارت الظروف مواتية بالنسبة لهؤلاء الاغوات والبكوات للاستحواذ بالتدريج على أراضى الفلاحين والحقيقة ان الاغوات الاكراد كانوا يشكلون الاكثرية من بين ملاكى الارض فى أرمينيا الغربية وكان معظم الارمن مضطرين ليدفعوا فضلا عن الضرائب الحكومية الكثيرة ، اتاوات للاقطـاعين من الاكراد وكان الاكراد يستوفون هذه الضرائب ويسمونها بكل بساطة « ضريبة الكفر » مخالفين بذلك سماحة الاسلام وحسن معاملته لاهـل الكتـــاب ٠

وقد تعرض اقتصاد كردستان وأرمينيا الى هزة عنيفة فى الاشهر الاولى من عام ١٨٨٠ بعد أصدار الباب العالى قانونا بخفض قيمة العملة وترك هذا القانون انطباعات مروعة على السكان الجائعين والمنهوكين (٩) ٠ ويضاف الى أوجه الشبه بين الارمن والاكراد أن ثورات الطائفتين كانت تنتهى دائما بالفشل نتيجة انقسام القبائل الكردية وتنافســـها ونفس الشىء بالنسبة للجماعات الارمينية ، كما أن السلطات العثمانية كانت

تلجأ الى وسائل كثيرة لاستمالة بعض زعماء تلك الثورات للتخلى عن اصلاتهم .

وقد اشتدت روح العداء ضد العثمانين بين صفوف معظم الاكراد وغالبية الارمن بعد المذابح التى قام بها بعض القادة العثمانين مثل رشيد باشا وحافظ باشا لدرجة أدت أثناء حرب القرم (١٨٥٤ - ١٨٥٦) الى قيام انتفاضات مختلفة فى كردستان والولاية الارمينية انذرت الباب العالى بعواقب وخيمه .

والواقع أن المظالم التى كان يتعرض لها الفلاح الكردى هى اقل بكثير مما يتعرض له الارمنى ، وكان اختلاف الدين سببا فى تشجيع بعض الاغوات الاكراد - جهلا منهم باعتبار الارمن كفارا ووفر لهم ذلك التبرير المقبول فى نظرهم لاضطهاد الارمن (١٠) .

واذا كانت مشاركة الكثير من العشائر الكردية فى فرق الفرسان الحميدية التى تشكلت فى عصر السلطان عبد الحميد واشتركت فى مواجهة الثورات الارمينية قد فرقت بين الشعبين وأدت الى حدوث توتر بينهما استمر طويلا وبلغ قمته فى أثناء الحرب العالمية الاولى .

ولو أن هناك رأيا للكاتب الانجليزى كيلنج Keeling الذى تجول فى تركيا وروسيا وزار مناطق تجمع الارمن والاكراد وسجل مشاهداته فى تلك الجولة فى كتاب نشره فى لندن عام ١٩٢٤ ذكر فيه « أنه رأى بأم عينيه الاكراد فى العديد من المناطق وهم يؤون المشردين من الارمن وينقذون أطفالهم من الموت ، بل وتحدث كذلك عن امكانية التعايش بين الارمن والاكراد وأن السلطان عبد الحميد كان يخشى ذلك، وهو ما دفعه لانشاء الفرسان الحميدية لمواجهة مثل هذا التقارب (١١) .

وهناك أمثلة كثيرة تؤكد قيام بعض زعماء الاكراد بانقاذ الارمن

وبمطاردة رجال العشائر الكردية الذين كانوا يتجهون نحو قراهم ، كما يساعدون هؤلاء الارمن على الهروب والاختفاء ، وبعضهم انضم الى الارمن لمقاومة سلطات الحكومة العثمانية (١٢) .

دور الشيخ عبد الله النهرى ١٨٨٠ ١٨٨١ فى تحسين العلاقات الكردية الارمينيــــة :

أثناء قيام الثورة الكردية الكبرى برئاسة الشيخ عبد الله النهرى قام بجهود كبيرة لتقوية وتعزيز العلاقات مع الارمن وأن السلطات العثمانية قد راقبت باهتمام شديد تلك التطورات فى العلاقات بين الطائفتين .

وقد حاول الشيخ عبد الله تحسين هذه العلاقات وأزالة ما علق بأذهان الارمن عن انضمام الاكراد الى فرق الفرسان الحميدية وفى عام ١٨٨٢ نزل الشيخ عبد الله فى كنيسة أرمينية تقع فى منطقة وان وأعلن فيها « أنه فى العصور القديمة كان الود والاخلاص يربط بين الاكراد والارمن وأنه يمكن فى العصر الحاضر اعادة هذه الصداقة وتنميتها والتغاضى عن بعض الاخطاء التى أدت الى انضمام الاكراد للسلطات العثمانية ضد الارمن وكانت محاولة التقارب هذه سببا فى تصميم الحكومة العثمانية على القضاء التام على ثورة الشيخ عبد الله (١٣) .

ومن الخطوات التى اتخذتها : احراق سوق المدينة فى بدليس والتى كانت تضم دكاكين كثيرة للبائعين الارمن ، واتهمت السلطات العثمانية الاكراد بالقيام بهذا العمل وأن الشيخ عبد الله هو الذى حرضهم على ذلك وأن هدفه فى النهاية اقامة دولة كردية مستقلة لامكان فيها للارمن أو غيرهم (١٤) .

وقد نفى الشيخ عبد الله ذلك تماما وأرسل أحد اتباعه يحمل رسالة الى بطريرك الارمن أكد فيها بأن هدفه ليس تأسيس دولة كردية بقدر ما يهدف الى رفع الظلم عن الاكراد والأرمن وقال « ان التجربة المريرة أثبتت أن الموقف المعادى لبعض زعماء الاكراد ضد الارمن الحقت ضررا بالغا بقضية الاكراد ذاتها ولهذا السبب يطالب بالوحدة الكردية الارمنية أثناء خوض النضال التحررى » .

وأضاف الشيخ عبد الله « رغم كل شيء فإننى أثق بالارمن أكثر من ثقتى بالاتراك والفرس ، فالافضل بالنسبة لنا الاتحاد مع الارمن بدلا من الفرس والاتراك اذا أن الجانبين يكرهوننا والاتراك يرغبون فى أن يجعلوا منا أذيال لسياستهم » .

وقد اتصل الشيخ عبد الله ببعض زعماء الاكراد وطالبهم بوقف كل اضطها ضد الارمن ، وعدم خداع النفس بالوعود التركية وجاء فى رسالة لاحد الزعماء الاكراد :

« انى طلب منك وقف ملاحقة الارمن وعدم الاساءه اليهم فنحن الاكراد نعيش مع الارمن وليكن موقفهم من الحكومة كما شاؤوا ولكنك

لا تستمع لاحد ولا تصدق أحدا ذلك أن التجربة الاخيرة أثبتت أننا لعبة فى أيدى الاتراك لا اكثر » (١٥) .

واذا كانت هذه الجهود التى بذلها الشيخ عبد الله وغيره من زعماء الاكراد لرأب الصدع وتنقية العلاقات الكردية الارمينية مما شابهه قد لاقت قبولا من معظم زعماء الطائفتين وأن بعض رجال الكنيسة الارمنية تجاوبوا معها وساندوا الموقف الا أنه بعد وقوع الشيخ النهرى فى الاسر وتوقف ثورته والقبض على كثير من اتباعه عادت الاوضاع

أسوأ مما كانت وواصلت الحكومة العثمانية استخدام القوة ضد الارمن من ناحية ، وضد الطوائف الكردية غير السنية من ناحية أخرى .

واذا كان هناك اعتقاد أن عطف الدول « الاوربية على قضية الارمن ومساعدتهم قد حدث في ذات الوقت الذي أهملت فيه قضية الاكراد مما أعطى اقتناعا لزعماء الاكراد الســـنين أن وجهتهم الحقيقة يجب أن تكون استانبول وليس غيرها . وأنه من الافضل والاولى تقوية علاقاتهم بالسلطان حتى ولو أدى ذلك الى اشتراك آلاف منهم في كتائب مقاتلة لحماية السلطان والخلافه ومن هنا جاء اشتراك الاكراد فيما عرف باسم « الفرسان الحميدية . وكان سببا في قيام مذابح الارمن التي سودت صفحة تركيا أواخر القرن التاسع عشر (١٦) .

هوامش الفصل الخامس

العلاقات الكردية الارمينية

(١) د· استار حيان خواطر عن الثورة الارمينية ، مخطوط بمكتبة الموصل المركزية ، ص ٥

(٢) امين سامي : الاكراد ، سابق ، ص ٣٢

(٣) عبد الستار طاهر الشريف : المجتمع الكردى ، سابق ، ص ٤٢

(٤) د· كمال مظهر : سابق ، ص ٢٣٧

(٥) د· بديع جمعه ، د· احمد الخولى : تاريخ الصفوين وحضارتهم جـ ١ ، ط ١ القاهرة ١٩٧٦ ، ص ص ٣١٢ _ ٣١٣

(٦) جليلى جليل : انتفاضة الاكراد ، سابق ، ص ١٣

(٧) محمد رفعت : التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٢١٤

(٨) د· كمال مظهر : سابق ، ص ٢٣٨

(٩) جليلى ·· ، سابق ، ص ص ٢٩ ٣٠ ·

(١٠) الكسندر آداموف ، سابق ، ص ٢١٧

(١١) مظهر : سابق ، ص ١٦

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٨

(١٣) عبد الستار الشريف : سابق ، ص ٧٣

(١٤) جليلى جليل : سابق ، ص ص ٨٠ _ ٨١

(١٥) المرجع السابق ، ص ٨٢

(١٦) محمد رفعت : سابق ، ص ٢١٤

الفصل الخامس

الفرسان الحميدية
ودور الأكراد في مذابح الارمن

أدت الخلافات بين الارمن والعثمانين فى عصر السلطان عبد الحميد الى وقوع تلك الاحداث الدموية التى سبق الحديث عنها والتى أدت الى سقوط الآلاف من الجانبين قتلى وفشلت محاولات السلطان تخفيف حدة التوتر ومنع وقوع مصادمات جديدة ، فبدأ فى تعين اداريين مسيحين من الارمن في الولايات الست شرق الاناضول على الرغم من أن سكانها المسيحين كانوا يشكلون أقليات عدديه بالنسبة لغالبية السكان المسلمين .

ومن ناحية أخرى رأى السلطان عبد الحميد ضرورة اتخاذ خطوات أخرى أكثر فعالية لمواجهة الاضطرابات والمذابح التى يرتكبها الارمن فى شرق الاناضول وكانت هذه الخطوة تعزيز القوات الكردية والتركمانية لمواجهة الارمن وذلك من خلال ما عرف باسم « الحرس الحميدى » أو الفرسان الحميدية (١) .

« الفرسان الحميدية » هى قوات من الفرسان كان يتم جمعها من بين الاكراد والتركمان وكان انشاؤها فى أول الامر بهدف مراقبة الحدود العثمانية الروسية أو العثمانية الايرانية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لمراقبة سلوك أفراد قبائل الاكراد والتركمان بجعلها مسئولة عن تصرفاتهم (٢) .

وفيما يتعلق بالاكراد حاولت الحكومة العثمانية تحويل العشائر الكردية الى قوة احتياط فى يدها بهدف السيطرة عليها أولا ومن أجل

الحفاظ على هيبة الحكومة وضرب الحركات القومية للشعوب غير التركية بما فيهم الاكراد أنفسهم ثانيا واعدادهم للاشتراك في الحروب المتوقعة وخاصة مع روسيا بشكل فعال من ناحية ثالثة ٠

وكلمة الحميدية نسبة الى السلطان عبد الحميد لانها كانت تعتبر حرسا خاصا له ٠

وأما عن كيفية تشكيل هذه القوات « الفرسان الحميدية » فقد أولى المسؤلون عن هذه التشكيلات الغريبة من القوات أهتماما بالغا ، واضعين لها قائمة مفصلة من التعليمات ٠ فكان على العشيرة التي توافق على الانضمام اليها تقديم « فارس » واحد عن كل عائلة على أن يبقى في الخدمة لمدة ٢٣ عاما حسب التصنيف الآتي :

١ ـ « الاحضارية » ومدة هذا النوع من الخدمة ثلاث سنوات يدخلها البالغون من العمر ١٧ عاما ويقومون بالتدريب في مناطق سكناهم في ضوء تعليمات وضعت خصيصا لهذا الغرض (٣) ٠

٢ ـ « النظامية » ومدتها ١٢ عاما يضم المنتمون الى هذه الخدمة الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ ، ٣٢ عاما حسب زمن التحاقهم ٠ وكان هؤلاء يجتمعون للتدريب تحت اشراف ضباط عثمانين بين الحين والآخر ، الا أنهم كانوا ملزمين بالحضور مع خيولهم وكامل أسلحتهم وعتادهم خلال يوم واحد من استدعائهم ٠

٣ ـ « احتياطيه » « الاحتياط » ومدتها ٨ سنوات وهذه الخدمة هي للفرسان الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٣ و ٤٠ عاما ولم يكن هؤلاء خاضعين للتدريب الا أنهم كانوا يستدعون للخدمة الفعلية في الحالات الضرورية ٠

وعلى الفارس في جميع الاحوال ، أن يكون مستفدا ومعه حصانه

فرسه وتقوم الدولة بالصرف عليه أثناء الخدمة الفعلية وفى فترة التدريب التى حددت فى البداية بثلاثة أشهر فى السنة ثم خفضت الى مدة تتراوح بين ٥ - ٦ أسابيع بعد ذلك (٤) .

وقد انشئت هذه القوات الحميدية فى ولايات فان ، تبليس ارضروم وكان يبلغ عددها حوالى خمسون ألف فارس كانت تشترك الى جانب القوات النظامية العثمانية فى اخماد الفتن التى يقوم بها الارمن بتحريض من الدول الاوربية رأت الدولة التوسع فى هذا النظام ليمتد وجود « قوات الفرسان » الى الولايات الثلاثة الاخرى بحيث أصبح اختصاصها يغطى الولايات الست الارمينية .

وكانت هذه القوات مقسمة الى مجموعات تتألف كل مجموعة من عدد يتراوح بين ٧٦٨ و ١١٥٢ رجلا . وكان على كل قبيلة أن تزود الفرسان الحميدية بمجموعة واحدة أو أكثر من مجموعة تبعا لتعدادها (٥) .

أما القبائل الصغيرة فكانت تقدم مجموعات صغيرة العدد تلحق بالمجموعات الكبرى . وكانت الحكومة العثمانية تمنح جميع أفراد هذه القوات امتيازات متنوعة ، فتعفيهم وأفراد عائلاتهم الذكور من الخدمة العسكرية الالزامية فى الجيش النظامى ، كما كانت تعفيهم من جميع الضرائب ما عدا ضريبة العشور ، وكذلك من ضريبة الاغنام .

وكانت تقدم لهم الاسلحة عند استدعائهم للخدمة ولكنهم كانوا يحتفظون عادة بأسلحتهم الخاصة التقليدية ، ويرأس المجموعات عادة رؤساء القبائل .

ومن ناحية أخرى كانت الحكومة العثمانية تختار عددا من الضباط العثمانيين الاكفاء يتولون تدريب هذه المجموعات والوصول بمستواهم

الحربى الى المستوى اللائق والمؤهل للمشاركة فى الاعمال التى تسند اليهـــم ·

ويلاحظ أن حجم الفرق الحميدية كان يعتمد على حجم العشـــيرة نفسها الا أنه كان من المقرر ان تتكون كل آلاى (فوج) حميـدى من ٢ الى ٤ سرايا وكل سرية من ٢٠ الى ٣٠ فارسا ·

وكان يقف على رأس كل فوج ضابط خيال نظامى يختار من بين أكفأ ضباط هذا الصنف ولا سيما فى بداية ظهور الفرق الحميدية ·

وقد رأى المسئولون العثمانيون أنه من الافضل لهم الزج بأكبر عدد من العشائر الكردية فى صفوف التشكيلات الحميدية ولذا فانهم لم « يبخلوا » فى منح امتيازات واسعة لافرادها ، وتقـــرر منح كل كل عشـــيرة مشاركة أراض أميرية خـــالية ، فى حين لم تكن أمثـــال تلك العشائر ، والقوية منها بشكل خاص ، تنتظر فى الاســـــاس اى تفويض رسمى حتى تقوم باشغال الاراضى غير المستغلة التى كانت فى متناولها دوما ، وكان استقرارها او انتقالها اليها يرتبط بعملية اقتصادية اجتماعيه معقده لم تستطع الدولة العثمانية بسبب الظروف والقلاقل التى واجهتها فى عصر السلطان عبد الحميد أن تؤثر عليها بشكل ملموس الا ان المشرع اشترط ، مع ذلك ، استرجاع الاراضى الممنوحة للعشيرة التى تنسحب من التشكيلات الحميدية وتقرر فى الوقت نفسه فتح عدد من المدارس فى المراكز الكردية الرئيسية بقصد اعداد أفراد الجيل الناشىء للانخراط مستقبلا فى السلك العسكرى المنظم للفرق الحميدية · فهم اكثر استعدادا لتقبل المبادىء الاولية للتدريب العسكرى الحديث (٦) ·

ويرى البعض ان اخطر بند مغر فى التعليمات الخاصة بمساهمة العشائر فى الفرق الحميدية والامتيازات الممنوحة لهم هو ذلك البند الذى

نص على عدم اخضاع الفرسان الحميدية « للمحاكم العادية » والترجمة العملية لهذا البند كانت تعنى اطلاق يد رجال العشائر ضد كل معارض للعرش العثماني وكان نصيب الارمن من نتائج هذه المنحة غير الكريمة اكبر من غيرهم ·

شاكر باشا وفكرة فرق الفرسان (٧)

يعتبر شاكر باشا الذى كان مقربا من السلطان هو صاحب فكرة تشكيل الفرق الحميدية وقد اقنع السلطان بفكرته واهميتها فى الضرب بالشدة على يد المعارضين والثائرين ، وكذلك فى كسب ولاء الاكراد بربط مصيرهم بمصير الخلافة العثمانية ، والقضاء على اى محاولة ارمينية - كردية للتقارب وتوحيد الصفوف لمواجهة الحكومة العثمانية ·

وكان شاكر باشا يرى سحب الاسلحة من الفرسان الحميدية بعد عودتهم من المهام التى يكلفون بها وتتم اعادتها اليهم عندما يحين وقت التدريب السنوى المقرر لكل جماعة ·

وهذا يعنى ببساطة شديدة عدم الثقة فى ولاء هذه الكتائب وكان هذا احد الاسباب الرئيسية - بجانب معارضة الكثير من العشائر الكردية - فى اضعاف هذه الفرق الحميدية ·

ومن زعماء الاكراد الذين قاموا بدور بارز فى تشكيل هذه الفرق ابراهيم باشا الملى الذى عرف بالاخلاص الشديد للسلطان عبد الحميد وعلى الرغم من دوره هذا الا انه اتخذ بعد ذلك موقفا ايجابيا من المسألة الارمينية وتمكن من انقاذ حوالى عشرة آلاف أرمنى واثناء مذبحة اورفه التى حدثت فى نهاية عام ١٨٩٤ قام مع بعض زعماء الاكراد بانقاذ عدد من الارمن (٨)

موقف بعض العشائر من تشكيل الفرق الحميدية :

على الرغم من كل الاغراءات والامتيازات التى قدمها العثمانيون للاكراد فقد رفضت بعض العشائر الكردية الخضوع لمثل هذه المحاولات ولم يزعجها التهديد غير المباشر الذى الحت اليه السلطات العثمانية وكان من بين هذه العشائر « الهموند » التى عرفت بالشجاعة النادرة والمغامرات المستمرة لم تستجيب لنداء السلطان الذى ربط فيه بين طاعة اولى الامر والدفاع عن العقيدة ومسارعة العشائر الكردية فى المشاركة .

ولعل السبب فى ذلك ان هذه العشيرة اخذت درسا قاسيا من التاريخ وهو ان الدولة عندما تستنفد اغراضها من تكوين هذه الفرق فانها ستتغلب على افرادها وتشتتهم خوفا من ثورات يقومون بها مستقبلا .

ومن مجموع خمس عشائر كردية كبيرة فى منطقة بدليس لم ينضم سوى قسم من عشيرة الجلالى الى الفرق الحميدية ، ولم يختلف الوضع عن ذلك كثيرا فى ديار بكر حيث رفضت الاغلبية من عشائرها الاعتراف بهذه الفرق .

أما فى منطقة « درسيم » الوعرة فقد رفض الجميع بشكل مطلق الانخراط فى صفوفها ، وليس هذا فقط بل تعاون الاكراد فى « درسيم » مع الارمن لمواجهة نشاط هذه الكتائب الحميدية .

وهناك الاكراد اليزيديون الذين رفضوا مبدأ التجنيد الالزامى رفضا قاطعا ، كما رفضوا الانضمام الى فرق الفرسان وقد سيرت الدولة عليهم حملات عسكرية على مناطق تجمعهم فى سنجار والشيخان ابادت الكثيرين منهم . وكان الارمن يعرفون جيدا عداء اليزيديين للدولة

العثمانية فلجأ مئات من الارمن اليهم هربا من ملاحقة الفرسان فآووهم ووقفوا الى جانبهم فقد كان عداء اليزيديين للعثمانيين لا يقل عن عداء الارمن لهم (٩) ·

وأما زعماء البدرخانيين فكان لهم موقفهم ضد انخراط العشائر الكردية في صفوف الفرسان بعد ان ادركو المرامي الحقيقية لتشكيل تلك الفرق ، كما انهم قدروا بشكل صحيح النتائج السلبية التي تتركها اعمال تلك الفرق على العلاقات الارمينية الكردية وعلى موقف الاوربيين من قضايا الاكراد بشكل عام ·

وقد اصدر البدرخانيون في الخارج جريدة « كردستان » التي تعتبر أول جريدة كردية في العصر الحديث ومنذ العدد الاول انتقدت بشدة الفرق الحميديه — وذلك في عددها رقم ١٨ الصادر في ١٥ سبتمبر ١٩٠١ واعتبرتها « مؤسسة فاسدة » واضافت كردستان « ان شاكر باشا وزكي باشا عندما فكروا في تأسيس الفرق الحميدية كان يهدفان الى تحويلها الى أداة ضد الحركة الارمينية وللحيلولة دون التقاء الشعبين الارمني والكردي ضد استبداد السلطان عبد الحميد ، لذا اصبحت اعمال هذه الفرق منذ يوم تأسيسها مضرة بالبلاد وبالشعب بشكل لايوصف (١٠)

ومن الجدير بالذكر ان هذه القوات الحميدية التي ضمت الى جانب الاكراد التركمان وقلة من الشراكسة قد نمت نموا سريعا على الرغم من معارضة الكثير من العشائر الكردية للانضمام اليها فكانت تضم سنة ١٨٩٢ اربعين مجموعة موزعة على الولايات الست وارتفع هذا العدد في سنة ١٨٩٣ الى ست وخمسين مجموعة ثم قفز هذا العدد الى ثلاث وستين مجموعة في سنة ١٨٩٩ بهدف التصدى لثورات الارمن التي اشتدت في تلك الفترة والواقع ان السلطان عبد الحميد على الرغم من أن امه كانت ارمينية الا انه كان يعتقد بأن في استطاعته ان يثق بالاكراد ويتخذهم

دعامة ليس اضمن منها ولا اثبت لسلطته وقوته حتى انه اطلق يدهم في المناطق الكردية ذاتها وان كان حريصا على أن يحد من قوة بكواتهم ويقضي على كل توثب عندهم وقد دفعه الى ذلك ما حدث من الشيخ عبد الله النهري قائد الثورة الكردية الذى حاول استمالة الارمن والاشوريين الى جانبه لتكون ثورة عارمة ضد العثمانيين ٠

ولتدعيم الفرق الحميدية انشأ السلطان عبد الحميد مدرسة قبلية لتدريب الضباط الاكراد والتركمان ، كما كان يرسل ضباطا من البدو الى المدارس الحربية ومدارس الفرسان للتدريب وبعد انتهاء دراساتهم يعودون الى مجموعاتهم في شرق الاناضول (١١) .

الصعوبات التى واجهت تشكيل الفرق الحميدية :

على الرغم من النمو السريع لقوات الفرسان فى عصر السلطان عبد الحميدية الا أن هذه المحاولة لقيت صعوبات عديدة هددت أكثر من مرة بفشلها ٠ وكان من بين هذه الصعوبات :

١ ـ رفض عدد كبير من العشائر الكردية الانخراط في صفوف القوات الحميدية على الرغم من الاغراء والتهديد واستخدام القوه ضد بعض أفرادها وترحيل البعض الى طرابلس الشام وأطنه في أواخر ثمانيات القرن التاسع عشر ٠

ومن مجموع خمس عشائر في بدليس لم ينضم سوى قسم صغير من عشيرة الجلالية الى الحميدية ٠ وبقى الحال فى ديار بكر ودرسيم معارضا لتشكيلها ٠ وحتى بعض العشائر التى كانت متحمسة للمشروع فقدت حماسها بمضى الوقت ولم تتكمن من تقديم الاعداد التى تعهدت بها للسلطان وحكومته والاكثر من ذلك أن بعض العشائر الكردية انسحبت من صفوف الفرسان بعد أن خدمت فيها لمدد مختلفة (١٢) ٠

٢ ـ العامل الاقتصادى :

كان العامل الاقتصادى أحد العوامل الهامة التى حالت دون تحمس الفلاح والاقطاعى الكردى للعمل فى صفوف الفرق الحميدية ، لاسيما بعد أن بدأت التدريبات الفعلية وبعد أن تم ارسال اعداد منها لاداء الواجبات العسكرية المكلفة بها والتى كانت فى الغالب أعمالا قمعية فى مناطق بعيدة عن قراها مما يعنى انقطاع الفلاح الكردى عن ارضه فترة طويلة مما يؤثر على الانتاج بشكل كبير وجعل رؤساء العشائر والبكوات والاغوات يراجعون أنفسهم مرات ومرات ويحجمون عن تقديم أعداد أخرى للانضمام الى هذه الكتائب (١٣) ٠

العامل الاجتماعى :

خشى رؤساء العشائر الكردية تقوية صلات الفلاحين الفرسان بالسلطات العثمانية مما يعنى اضعاف نفوذ وتأثير هؤلاء الرؤساء عليهم وهو أمر مرفوض تماما عند هؤلاء كما أن حصول هؤلاء الفلاحين على الامتيازات الممنوحة للفرسان يمكنها ان ترقى بهم الى مستوى اجتماعى أفضل يجعلهم يرفضون مرة أخرى العودة الى حياة العبودية والعمل فى خدمة هؤلاءالرؤساء كذلك أدى غياب هؤلاءالفرسان عن بيوتهم وأسرهم لمدد طويلة أدى الى حدوث كثير من المشاكل الاجتماعية والتفكك الاسرى فى مجتمع كردى عرف بالتماسك على مدى تاريخه الطويل والحقيقة ان الذين فكروا فى تشكيل هذه القوات كانوا يهدفون الى أضعاف الصلة بين رؤساء العشائر وبين أفرادها كوسيلة لاضعاف الاكراد اذا ما فكروا كغيرهم فى الثورة على الحكم العثمانى (١٤) ٠ .

٤ ـ الدعاية المضادة التى قامت بها روسيا من خلال مناطق الحدود :

بينها وبين الدولة العثمانية لاجتذاب رؤساء العشـائر وتخـويفهم من الانضمام الى هذه الكتائب وقام الضباط والدبلوماسيون الروس بتنظيم دعاية واسعة لابعاد الاكراد عن صفوف الفرسـان الحميدية ، وحـدث نفس الشيء مع العشائر الكردية المرتبطة بايران أيضا ٠

وكان لموقف انجلترا وفرنسا وتنديدهما بهذه الكتائب أثره الكبير في تغيير الموقف لكثيرين منهم ٠

٥ ـ موقف الدولة العثمانية من ثورة الشـيخ عبد الله النهـرى واستخدامها القوة المتناهية في القضاء عليها جعل الاكراد المنضمين الى الثورة يحاولون استمالة العناصر الاخرى فى الدولة وفى مقدمتهم الارمن للوقوف صفا واحدا في مواجهة الحكومة العثمانية (١٥) ٠

٦ ـ الوضع الاقتصادى المتأزم للدولة العثمانية ووقوعهـا تحت طائلة الديون التى تضاعفت في عصر السلطان عبد العزيز وعجزت عن الوفاء بالتزاماتها فى عصر السلطان عبد الحميد الثانى ٠ ولم تتمكن توفير الخيول والاعلاف للفرسان ٠

وحدثت كثير من عمليات النصب والسلب والاختـلاس للاموال المخصصة لميزانية هذه الكتائب من قبل الضباط المكلفين بالاشراف عليها ٠

٧ ـ عدم اعداد هذه القوات بطريقة منظمة مما جعلهـا أقـرب الى العصابات ٠ منها الى القوات المدربة والملمة بفنون ٠ القتال العسكرية ٠ وكان ما لا يقل عن نصف هذه القوات من المشاة لا الفرسان على عكس التعليمات المنصوص عليها والهدف التى أعدت من أجله ٠

وقد اتجهت معظم هذه القوات للقيام بعمليات غلب عليها طـابع

النهب • والسلب للقرى الارمينية التى هاجمتها • واستخدمت أساليب شديدة القسوة فى قمع الثورات الارمنية (١٦) •

ويمكن للمرء أن يتساءل بخصوص انشاء هذه الفرق • وحق الدولة العثمانية فى تجنيد من تريد من رعاياها المسلمين للدفاع عن حدودها والحفاظ على أمنها كما تقضى قوانينها التى يهاجمها البعض والتى تنص على قضاء المواطن العثمانى فى الجيش النظامى ست سنوات متصلة وثمان سنوات فى الجيش الاحتياطى فى نفس الوقت الذى كان جاره الارمنى أثناء تلك السنوات متمتعا بحريته قائما بأعماله المعيشية عاملا على ترقية نفسه فى سلم الهيئة الاجتماعية حيث يكون قد أعفى من الجندية بدفع بدل نقدى طفيفاً لا يجوز للمسلم أن يفدى به نفســه ولا بأمثـــاله •

وهؤلاء الاكراد أو التركمان الذين انضموا الى هذه القـــوات لم يرتكبوا جرما أو اثما ولكنهم استجابوا لنداء أولى الامر وعلى قادة هذه القوات تقع مسئولية هذه المذابح ، كما تقع على الارمن أنفســـهم الذين بدأوا بارتكاب الكثير من الفظائع وقاموا بالاعتداء على القرى الـكردية وقد أدين الاكراد بطـريقة مبـــالغ فيهـا ، وتسببت تلك الحوادث فى تشويه سمعتهم بصـــورة كبيرة وكثر الحـديث عن تعطش الاكـــراد « لسفك الدماء » ورغبتهم فى « السلب والنهب » و « ميولهم الفوضوية للاعتـــداء » •

ومن ناحية أخرى ادين مئات الاكراد من قبل السلطات العثمانية لرفضهم الانضمام الى قوات الفرسان أو لانهم رفضوا تنفيذ التعليمات بمهاجمة القرى الارمينية •

ولا يمكن اعفاء الدولة العثمانية من مسئولية تخريب العلاقات الكردية الارمينية فقد كانوا يسعون لاشعال نار الشقاق بين الطائفتين وسد أى منفذ للتقارب بينهما ٠

ويجب الاعتراف أن التعصب الديني والتخلف الحضـــاري كانا سببين لحماس الاكراد أحيانا لتنفيذ الاوامر والمهام الملقاة على عاتقهم لتحل عليهم « المثوبة » ويسهمون فى قتل أعداء الدين والسلطان ٠

ويمكن الرد على ذلك بأن الارمن « المسيحين » والاكراد «المسلمين» عاشا سويا قبل ذلك مئات السنين دون وقوع مثل هذه الحوادث التى حدثت فى العصر الحميدى وبعد ذلك وأشد منه فى عصر الاتحادين مما يؤكد أن نشاط الارمن والجمعيات السرية التى انتشرت فى الداخـــل والخارج بفضل الدعاية المغرضة والدعم المستمر من جـــانب الـــروس والانجليز وغيرهم كلها كانت أسباب لتفاقم الموقف بين الاكراد والارمن ٠

واذا كان الأرمن قد طالبوا بتكوين مملكة أرمينية مستقلة فى الولايات التى يعيش فيها الأرمن مع الأكراد على أن تكون تحت حـكم الأرمن فقد تناسى هؤلاء أن الأكراد والعثمانيين كانوا يشكلون اغلبية بالقياس الى الأرمن ٠

وهذه احصائية لسكان الولايات الاثنى عشر التى يسكنها الأرمن والأكراد فى تلك الفترة ننقلها عن كتاب المسألة الشرقية للزعيم مصطفى كامل ويمكن من خلالها تفسير موقف الجانبين (الكردى والأرمنى) ٠

	مسلمون	أرمن	غيرهم	المجموع
أطنه	١٥٨٠٠٠	٩٧٤٥٠	٧٤٩١٨٠	٤٠٢٤٣٠
حلب	٧٩٢٤٥	٤٩٠٣٠	١٥٤٢٧٠	٩٩٥٧٥٠
أنقره	٧٦٣١٢٠	٩٤٢٩٠	٣٥٤٦٣	٨٩٢٨٧٠
بتليس	٢٥٤٠٠٠	١٣١٣٩٠	١٣٢٣٠	٣٩٨٦٢٠
ديار بكر	٣٢٨٦٤٠	٧٩١٣٠	٦٣٦٨٠	٤٧١٤٥٠
ارضروم	٥٠٠٧٨٠	١٣٤٠٦٠	٩٩٥٠	٦٤٥٦٩٠
معمورة العزيز	٥٠٥٤٤٠	٦٩٠٢٠	٦٥٠	٥٧٥١١٠
الموصل	٢٤٨٣٨٠	—	٥١٩٠٠	٣٠٠٢٨٠
سيواس	٨٣٩٥١٠	١٧٠٤٣٠	٧٦٠٦٠	١٠٨٦٠٠٠
طرابزون	٨٠٦٧٠٠	٤٧٢٠٠	١٩٣٨٠٠	١٠٤٧٧٠٠
وان	٢٤١٠٠٠	٨٠٠٠٠	١٠٩٠٠٠	٤٣٠٠٠٠
المجموع	٦٤٢٧٢٢٠	٩٦٣٠٠٠	٩٤٩٨٠	٨٣٣٤٩٠٠

وقدر المستر اكزمنيس عدد الأكراد الحقيقيين بـ ١٦٤٤٨٦٠ فيكون مجموع المسلمين فى الولايات الاثنتى عشرة غير الأكراد ٤٧٨٢٣٦٠ والأكراد وحدهم ١٦٤٤٨٦٠ والأرمن ٩٦٢٠٠٠ والآخرون من يونانيين ولانيين وكلدانيين وأقباط ويزيدية ٩٤٤٠٨٠ .

أما فى الولايات السبعة وهى طرابزون وسيواس وأرضروم وأنقره ووان وديار بكر وبتليس التى كان الأرمن ينادون بتأليف دولة أرمينية فيها وتساندهم الجرائد الانجليزية فيبلغ عدد سكانها كما يأتى :

مسلمون ٣٧٣٣٧٥٠

أرمن جريجوريانيين ٨٤٧٧١٠

بروتستانت ٦٠٧٣٤

كاثوليك ٥٨٤٧١

يونان أرثوذكس ٣٥٢٥١٢

متحـلون ٣٨٠

نسطوريون ٩٢٠٠٠

كلدانيون ٤١٤٤٠

يعقوبيون ٥١٢٩٨

سـوريون ٩٩٨٠

يزيديون ٩٤٦٢

أقبـاط ٣٧٢

مجموع المسلمين ٢٧٣٣٧٥٩

أرباب الديانات الأخرى ١٤٩٧٣٥٩

أى أن نسبة مجموع المسلمين فى الولايات السبع السالفة الذكر الى عدد الأهالى الكلى كنسبة ١١ الى ١٥ وعليه فكون نسبة المسيحيين اليه هى ٤ الى ١٥ ليس الا والأرمن نصف هؤلاء فتكون نسـبتهم الى عدد الاهالى الكلى كنسبة ١٢ الى ١٥(١٧) .

فكيف يمكن والحالة هذه ان تستجيب الدولة العثمانية لمطالب الارمن بانشاء مملكة ارمينية يتولى السلطة فيها الارمن وحدهم فى نفس الوقت الذى توجد فيه اغلبية كبيرة من غير الارمن .

وقد حدث اثناء انعقاد مؤتمر برلين ان قدم « نوبار باشا » مشروعا يتضمن المطالبة بتعين حاكم عام ارمنى لبلاد ارمينيا اى للولايات السبع وحدد شروط تعيين الموظفين فيها ، وانتخاب المجالس العمومية وتشكيل

قوات الامن وغير ذلك من المطالب التي تجعل من ارمينيا دولة مستقلة استقلالا تاما وبمعنى ادق تجعل ٣٧٠٠٠٠٠ مسلم تحت سيطرة ٨٠٠٠٠٠ ارمني مسيحي .

أما الحاكم العام الذى كان الارمن يريدون تعيينه فهو « نوبار باشا» الذى يدين بالولاء المطلق لانجلترا وخدماته لهم فى مصر لا تخفى على أحد .

وقد اخفقت خطة الارمن وتخوفت بعض الدول من اعطاء الارمن كامل استقلالهم حتى لا يثير ذلك الطوائف الآخرى فى روسيا والنمسا وغيرها وجاء بخصوص الأرمن فى المادة ٦١ ما نصه « يتعهد الباب العالى بأن يجرى بلا ابطاء ولاتأخير التعديلات والاصلاحات التى تستلزمها الحاجات المكانية والضرورات المحلية فى الاقاليم والولايات التى يسكنها الارمن وبأن يكفل لهم الارمن الطمأنينة من الجراكسة والكرد . ويتعهد كذلك بأن يوافى الدول من وقت الى آخر بما يتخذه من الوسائل اللازمة لذلك كى تراقب تنفيذها » (١٨) .

ردود الفعل الارمنية :

شعر الارمن أن قضيتهم لم تلق الاهتمام الذى تستحقه من الدول الاوربية التى اجتمعت فى برلين فصمموا على زيادة اعمالهم الدموية فى كافة المدن العثمانية وبعض المدن الاوربية وراح ضحية هذه الاعمال الالاف من الارمن والاكراد واستمرت حتى نهاية عصر السلطان عبد الحميد وبدايات عصر جماعة الاتحاد والترقى :

وقد وجه احد الصفحيين البريطانيين هذا النداء فى جريدة «التايمز» اللندنية بشأن المسألة الارمينية « لقد حان الوقت الذى يجب فيه على الامة البريطانية ان تعلم ان للمسألة الارمينية وجها مظلما للغاية فان الجمعيات الثورية الارمينية هى آفة الامة الآرمينية ومصيبتها وانى لا أتردد فى أن

اصرح معتمدا فى ذلك على خبرتى الشخصية بأن هذه الجمعيات هى التى يقع عليها النصيب الاوفر من مسئولية الارمن الذين قتلوا فى الاضطرابات الاخيرة · فلماذا يستطيع الانسان ان يقول عن اشخاص يبذرون بذور التعصب بين قومهم ويضحون نفوسا عديدة وارواحا جمة من بنى جلدتهم بقصد الاعلان عن المسألة الارمينية فى اوربا ، وفى اية بلدة من بلاد آسيا الصغرى لا يستطيع احد من الارمن ان يكون آمنا على حياته وامواله اذا كان احد اعضاءهاته الجمعيات الثورية مقيما فيها فالاغنياء مجبرون ان يشتركوا فى مصاريف الثورة الارمينية والا قتلوا · واذا تجاسر احد على القدح في الجمعيات الثورية أو العمل ضدها فقد حياته لا محالة » ·

ويضيف الكاتب البريطانى ان هذه الجمعيات ترمى الى احداث مذابح جديدة « لكى تبقى أنظار أوروبا موجهة الى مظالم الأتراك » وفى سلماس وغيرها من المدائن التى على حدود بلاد العجم يستعد ثوار الارمن للهجوم على الاتراك المسلمين ولهم هناك من الرجال المسلحين بين الالفين والثلاثة آلاف ولكن لتركيا من الجنود هنالك نحو الخمسة عشر الفمقاتل والحكومة العثمانية عالمة جيدا بدسائس الارمن وبنياتهم ·

ويؤكد الكاتب البريطانى على ان الهدف الذى تسعى اليه هذه الجمعيات الارهابية اجبار أوربا على التداخل فى أمور العثمانيين الداخلية وللوصول الى هذا الغرض نراهم يحدثون ثورات ومذابح هم وحدهم المسئولون عنها ، وهم لايتأخرون عن التضحية بمئات وألوف من بنى جلدتم واضعافهم من الاكراد والاتراك (١٨) ·

مخاوف الاكراد من المساندة الاوروبية للارمن :

كانت نظرة الاحزاب الثورية الارمينية على اختلاف اتجاهاتها تقوم على اساس تكوين ارمينيا الكبرى أو « استقلال ارمينيا » أو « الحكم

الفاتي لارمينيا »، والتي تشمل كل المنطقة التي كان معظم سكانها في يوم من الايام السحيقة في القدم من الارمن او كانت تحت سيطرة الدول التي اسسوها يوما ما • وعلى سبيل المثال كانت مدينة ديار بكر وما والاها في نظرهم جزءا من صميم ارمينيا • وقد انعكست هذه الافـــكار في مطبوعات الارمن آنئذ وفي أدبهم ونضالهم اليومي بصورة صارخة وبشكل يستلفت الانظار •

وعلى العكس من ذلك كان معظم رجال السياسة الأكراد يعتبرون ارمينيا الغربية كلها ضمن كردستان ، غير أن ضعف القومية الكردية ، بالقياس الى مثيلتها الارمينية ، لم يتح المجال لان يكون لادعاءات الاكراد صدى كبير ، بل أنها لم تتأطر في صبغة محدودة ، شأنها شأن الادعاءات الأرمنية ، لذلك فانها لم تلعب في الواقع دورا ما وأما مســاندة الدول الاوربية للارمن فقد ألقى في روع الاكراد مخاوف مشروعه ، خاصة وانهم كانوا يحسبون ان الدول الكبرى تساعد ، كيفما كان الامر ومهما كان الدافع ، الارمن الذين يتفقون واياهم في الدين ، على بلوغ اهدافهم او على الخلاص من الظلم العثماني على الاقل ، وبمعنى اخر كان المثقف الكردي يخشى تضاؤل حجمه ، والفلاح الكردي يخاف ان يفقد ارضه • اما الاغوات والاقطاعيون الكرد فقد كان يهمهم أن يحافظوا على سيطرتهم •

وهذا واحد من الأكراد ذوي الثقافة المعقولة هو الحاج قادر الكويي « المتوفى عام ١٨٩٧ » يطلق بعد اشتداد التنابح بين الطرفين صرخـــات التحذير عاليا ويقول :

« وأسفاه ان بلاد الجزيرة وبوتان ، اعني بلاد الكرد يحولونها الى ديار أرمينية »(١٩) •

وقد تأثر الحاج قادر في معالجته للعلاقات الكردية الارمينيـــة بمشاعره الدينية بصفته مسلما سنيا من رعايا الدولة العثمانية وعلى الرغم

عن ذلك فقد نبه الى ان هذه الدولة لايمكن الركون اليها فى اتخاذ موقف حازم لحماية كردستان من ان تصبح جزءا من ارمينيا وان يفقد الشعب الكردى حقوقه القومية وحرياته الدينية بل ووجوده وكيانه واكثر من ذلك دعا الحاج قادر الى اتخاذ اساليب سياسية وعملية جد صائبة بل انه دعا الى حرب قومية شاملة تشترك فيها كل طبقات الشعب الكردى بل انه دعا الى اثارة الحماس القومى والدينى والمصالح الحيوية للاكراد وصور القضية وكأن الاكراد يتعرضون لعدوان اجنبى وصور دعوة الارمن الى اقامة دولة مستقلة بأنه يمثل تهديدا خطيرا للاكراد ونسى هو وغيره ان هناك علاقة بين القضيتين الارمينية والكردية وانه لولا ما قام به متعصبو الارمن بتشجيع من انجلترا وغيرها لامكن للجانبين « الاكراد والارمن » التعاون للحصول على استقلالهما والتخفيف من حدة الخلافات بينهما ومنع المذابح الدموية التى وقعت بينهما وادت الى مقتل الالاف من الاكراد والارمن وقد عبر عن ذلك بقوله :

« قسما بالقرآن ، لم يبق هناك غيره ·

ان تظهر أرمنستان للوجود فلن يبق أحد من الأكراد » ·

وأما جريدة « كردستان » التى كرست جانبا كبيرا من اعدادها الصادرة فى العامين ١٩٠١ و ١٩٠٢ للدفاع عن الارمن ولادانة المذابح التى ارتكبت بحقهم · فقد اشارت اكثر من مرة الى مخاطر « النوايا العدوانية » لقلة من الارمن ،لكنها وضعت مقابل ذلك فى الوقت نفسه الاعمال والنوايا العدوانية لقلة من الاكراد (٢٠) ·

ان ما ضخم هذه المخاوف في نظر الأكراد أكثر هو ، كما سبق القول ان الدول الاوربية كانت تولي المسألة الارمينية اهتمامها · صحيح ان القسم الاكبر من ذلك الاهتمام كان نابعا من المصالح الخاصة لتلك الدول نفسها

ومع ذلك فقد ادي ذلك الى اثارة مخاوف العثمانيين والإكراد وشاع في أوساطهم ان دولة ستقام للأرمن بمساعدة روسيا وبريطانيا وفرنسا وأن الاكراد المسلمين سيقعون تحت سيطرة هذه الدولة المسيحية ، وفي الحقيقة فان قسما من الأرمن ، ولا سيما الطاشناقيين منهم ، كانوا يأملون ذلك وكانوا متفائلين الى حد كبير ويتوقعون الخير من الدول الكبرى ·ومن هنا كان توسل المثقفين ورجال الدين والقوى السياسية الارمينية بين حين وآخر الى الدول الكبرى التي كثيرا ما كانت تهب لنجدتهم لأغراض خاصة بها · وهذا ما كان قد أخاف الكرد الى حد ما ، خاصة وان تدخل الدول الكبرى في المسألة الأرمينية كان يؤثر على أوضاعهم ، أي أوضاع الكرد، الحياتية والمعيشية (٢١) ·

وعلى سبيل المثال قابل سفراء الدول الكبرى المسؤولين العثمانيين بعد وقوع المذابح التي وقعت بين الجانبين ونتيجة لتلك المقابلات وعدالمسؤلون العثمانيون باتخاذ بعض الاجراءات بشأن الارمن وارمينيا كان بعضها يتعلق بالكرد وكردستان فقط منها ما تقرر من فرض الرقابة على تنقلات القبائل الكردية الرحالة وعدم السماح للفرسان الحميدية بحمل السلاح بدون موافقة خاصة وتقديمهم كغيرهم الى المحاكم الحكومية ·

مثل هذه المواضيع كانت تشيع بين الناس بسرعة وعلى الرغم من ان الكثير منها لم يكن يجد طريقة الى التنفيذ الا انها كانت تلقى المخاوف في النفوس ولاسيما القضايا المهمة منها كتنقل القبائل الرحالة التي كانت حقا قضية حياة أو موت بالنسبة لتلك القبائل ·

واخيرا نرى ان مذابح الارمن واحداثها الرامية كانت اعمق من ان تفسر بكونها حصيلة المشاعر العمياء للكرد أو نتيجة لتخلفهم كانت الـ[illegible] عبارة عن عمل نظم بدقة واشتركت في اعداده اطراف مختلفة ولدوافع كانت في الغالب متباينة·

لم يكن بوسع الحكام العثمانيين ان يحلوا المشكلة الارمينية ، وكانوا في الوقت عينه يخشون ان تفلت أرمينيا من قبضتهم ، كما أفلت البلقان من قبل .

تلك هي البؤرة الاساسية للمذابح التي صار قسم قليل من الشعب الكردي احدى الادوات التي استخدمت في تنفيذها ، بل انه بالنسبة للمرحلة الاولى من هذه المذابح والتي سعى السلطان عبد الحميد واعوانه كثيرا لالقاء المسؤولية عنها على عاتق الشعب الكردي ، ولكـــن الوثائق التاريخية تثبت بوضوح ان الارمن انفسهم مسؤلون الى حد كبير عن تفاقم المشكلة ووقوع المذابح بين الطرفين ، وان الباب العالي هو الاخر يتحمل جانبا كبيرا من المسئولية وعلى عاتقه تقع مسئولية أحداثها المفجعة . ففي بعض المناطق كانت المذبحة تبدأ على أيدي الجنود والجندرمة وتنتهي على ايديهم ، فقد كلف ٣٠ ألف جندي في اورفه و١٦٠٠ أخرون في عربكير للقيام بابادة الارمن الموجودين فيهما وتجلت هذه الحقيقة بشكل اكثر في مذابح الحرب العالمية الاولى بصورة تجاوزت كل الحدود (٢٢) .

واخيرا لنا ان نتساءل هل كانت مذابح الارمن حصيلة الاحاسيس الدينية المتأججة لدى الكرد ونتيجة لتخلفهم فقط كمايدعي البعض أم انها تعود في نفس الوقت الى مشاعر التعصب الديني لدى كثير من الارمـــن الذين استجابوا لنداءات الجماعات الارمينية المتشددة والذين تعاونوا في نفس الوقت مع روســيا وانجلترا وفرنســا ، وقـاموا بنشر الرعب في الاناضول . ثم انهم اصبحوا مطية لليهود في محاولتهم اغتيال السلطان عبد الحميد عند خروجه من صلاة الجمعة في يلدز .

واخيرا نرى ان هذه العوامل مجتمعة كانت وراء هذه الاعمال التي أدت الى مقتل الالاف من الارمن والاكراد في عصر السلطان عبد الحميد واشتدت بعد ذلك عندما استولى الاتحاديون على السلطة وتم خلع السلطان في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ابريل ١٩٠٩ (٢٣) .

هوامش الفصل الاخير
الفرسان الحميدية
ودور الاكراد في مذابح الارمن

(١) بروكلمان « كارل » : تاريخ الشعوب الاسلامية ، دار العلم للملايين بيروت ، ط ٨ ، ١٩٧٩ ، ص ٥٩٥

(٢) د· عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، جـ ٣ ، ١٥٨٢

(٣) الدملوجي « صديق » امارة بهدينان الكردية ، الموصل ١٩٥٣ ، ص ص ٨٥ ـ ٨٦

(٤) د· كمال مظهر : سابق ، ص ٨٤

(٥) المرجع السابق ، ص ٨٥

(٦) بروكلمان : سابق ، ص ٥٩٥

(٧) انور الرفاعي ، شاكر مصطفى : التاريخ الحديث ، دمشق ١٩٥٤ ، ص ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨

(٨) مظهر : سابق ، ص ٢٩٦

(٩) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ ٧ ، ص ٦١

(١٠) انور الرفاعي ·· ، سابق ، س ٢٢٨

(١١) بروكلمان : سابق ، ص ٥٩٥

(١٢) د· الشناوي : جـ ٣ سابق ، ١٥٥٧

(١٣) مظهر : سابق ، ص ٨٧

(١٤) أحمد الصاوي : سابق ، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٨

(١٥) جليلي جليل : سابق ، ص ٩٤ ·

(١٦) كمال مظهر : سابق ، ٢٧٤

(١٧) مصطفى كامل : المسألة الشرقية ، جـ ٢ ، ص ص ١٩٩ ــ ٢٠١ ٠

(١٨) د٠ على حسون : العثمانيون والروس ، المكتب الاسلامى بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٤٨ ، محمد فريد « الزعيم » تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق د٠ احسان حقى ، بيروت ١٨٣ ، ص ص ٦٧٨ ــ ٦٩٩

(١٩) مصطفى كامل : سابق جـ ٢ ، ص ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧

(٢٠) مظهر : سابق ، ص ٢٧٠ ــ ٢٧١

(٢١) د٠ استار جيان : سابق ، ص ٣١٥ ٠

(٢٢) مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثمانى ، ترجمة كمال خوجه بلا ، ص ص ٢٤ ــ ٢٥ ٠

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٥٩ ٠

الخــاتمة

تناولت الفترة التى تعرضــنا لها فى هذا الكتــاب استعراضا تاريخيا للعلاقات الكردية الارمينية فى اخـريات القرن التاسـع عشر ومطلع القرن العشرين وهى فترة حكم الســلطان عبد الحميد الثـانى (١٩٧٦ _ ١٩٠٩) • وهذه الفترة تواكب عصر التطلعــات القومية والثورات التى قامت بها العديد من الاقليات الخاضعة للحكم العثمانى فى البلقان وداخل المدن العثمانية ذاتها وكان من أخطر هذه الثورات مـا قام به الارمن فى تلك الفترة وما قام به بعض الزعماء الاكراد مثـل الشيخ عبد الله النهرى وغيره من الزعماء •

وقد أوضحت الدراسة أن التحديات الداخليـة والخـارجية التى واجهت الدولة العثمانية فى عصر السلطان عبد الحميد كان لها أثرها الكبير فى تصميمه على التصدى لكل المحاولات الانفصالية التى ظهرت فى السنوات الاولى من فترة حكمه وقد نجح فى القضاء على بعضها كثورة الارمن وأخفق فى القضاء على بعضها الآخر كثورات الصرب والبلغار •

والحقيقة التى لا يمكن اغفالها أن مشاكل القوميات فى الامبراطورية العثمانية سابقة على عصر السلطان عبد الحميد ولكن السلاطين الســابقين عليه لم يكونوا جادين فى ايجاد الحل الملائم لها بل انهم حاولوا ضرب بعض الطوائف بالبعض الآخر وهو ما فعله عبد الحميــد فى مواجهتـه لثورات الاكراد والارمن •

ومن ناحية أخرى ظهر من خلال هذه الدراسة أن هناك شبه اتفاق بين الحركة الصهيونية والاحزاب الارمينية على اثارة المشاكل والقلاقل للسلطان عبد الحميد بسبب موقفه الحازم من الاطماع الصهيونية فى

فلسطين ، ودعوته للجامعة الاسلامية ، وتصديه لمحاولات الارمن اقامة كيان مستقل لهم ، ووصل التنسيق بين الصهيونية والارمن الى حد التعرض لحياة السلطان فى مؤامرة تم اكتشافها حينذاك وثبت تواطؤ اليهود والارمن فيها ٠

وأما عن الاكراد والارمن فهما من الشعوب العريقة فى الشرق وكان من الممكن اقامة علاقات حسن جوار وتعاون فيما بينهما خاصة وأنهما كانا يعيشان ظروفا متشابهة من وجوه عده ولكن التعصب الممقوت الذى شجعته بعض الدول الاوربية أدى الى تدهور العلاقات بينهما واراقة الدماء فى مذابح متبادلة بين الجانبين تركت جروحا عميقة من الاكراد والارمن الذين حاولوا جاهدين وقف هذه الاعمال العدائية التى أتت على قوة الطرفين ٠

ولعل من الاهمية أن نقرر أن مذابح الارمن فى عصر السلطان عبد الحميد كانت رد فعل لثوراتهم وعملياتهم الارهابية ضد القرى والاحياء الكردية والعثمانية وأن المؤرخين الارمن والغربين بالغوا كثيرا فى نتائج هذه الاعمال وأعداد القتلى من الارمن ليتمكنوا من كسب تعاطف الشعوب الاوربية معهم ٠

وكان للدور الروسى والبريطانى والفرنسى أثر كبير فى مساندة الارمن وتشجيعهم على الثورة رغبة فى القضاء على الدولة العثمانية قبل أن يتمكن السلطان عبد الحميد من تطويرها والاخذ بأسباب العلم والمدنية والنهوض بالقوات المسلحة العثمانية وجمع المسلمين على كلمة سواء تحت راية الخلافة الاسلامية والجامعة الاسلامية ٠

وقد تعرضت هذه الدراسة تفصيلا لدور الاكراد فى مذابح الارمن

ومشاركتهم (الاكراد) فى فرق « الفرسان الحميدية » التى شكلها السلطان وسميت بهذا الاسم تيمنا باسمه ٠

وكان الغرض من قوات الفرسان مواجهة ثورات الارمن وغيرهم وأكدت مشاركة الارمن على هذا النحو أنهم لم يكونوا أكثر من اداة سخرت لتحقيق أهداف الحكومة العثمانية ٠

ومن ناحية أخرى تعتبر محاولة الشيخ « عبد الله النهرى » الزعيم الكردى الكبير محاولة جادة لتوحيد جهود الاكراد والارمن لمواجهة مساوىء الحكم العثمانى ٠

وقد لقيت هذه المحاولة تقديرا كبيرا من جانب مؤرخى الارمن وهناك من زعماء القبائل الكردية غير الشيخ النهرى من حاول تقديم مساعدات الى المنكوبين والمشردين من الارمن ٠

أخيرا هذه الدراسة هى خطوة على الطريق لدراسة علمية جادة لتاريخ الاكراد والارمن وتوجيه الباحثين فى قسم التاريخ بجامعة الازهر سواء فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه أو فى ميدان البحوث التاريخية الرصينة ان يهتموا بتاريخ هذين الشعبين فى مراحله المختلفة فهو جدير بهذا الاهتمام ٠

والله ولى التوفيق

قائمـة المراجـع

اولا المراجـع :

ـ احمد بن زيني دحلان (مفتى مكة) الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ٠ القـاهرة ١٩٨٠ ٠

ـ احمد الصاوى : الاقليات التاريخية فى الوطن العربى ، مركز الحضارة العربية للنشر ، ١٩٨٩ ٠

ـ احمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى : دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٢ ٠

ـ احمد عطيه الله : القاموس السـياسى ، ط ٤ النهضـة العربية ١٩٨٠ ٠

ـ احمد عطيةالله : القاموس الاسلامى : جـ ٣ ، النهضة المصرية ١٩٧٠ ٠

ـ احمد فهد بركات الشوادفة : حركة الجامعة الاسـلامية ، مكتبة المنار ١٩٨٤ الاردن ٠

ـ أرنولد (توماس) : الدعوة الى الاسـلام ، ترجمـة د٠ حسـن ابراهيم حسن وآخر ، النهضة ١٩٧٠ ٠

ـ د٠ اسنارجيان : خواطرى عن الثورة الارمينية ، الموصل بلا ،

ـ د٠ استارجيان : تاريخ الامة الارمينية : الموصل ١٩٥١ ٠

ـ الكسندر آدامـوف : ولاية البصرة فى ماضيها وحاضرها ، ترجمة د٠ هاشم صالح التكرينى ، جـزء ١ ، جـ ٢ بغـداد ١٩٨٩ ، ١٩٨٢ ٠

ـ البرت م ٠ منتشافيل : العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، ترجمة د٠ هاشم صالح التكريتى ، بغداد ١٩٧٨ ٠

ــ أمين سامي الغمراوى : قصة الاكراد ، النهضة العربية ابريل ١٩٦٧ .

ــ أنور الرفاعي ، شاكر مصطفى ، التاريخ الحديث ، دمشق ، ١٩٥٤ .

ــ د. السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، معهد البحوث والدراسات العربية العالية ، ١٩٧٠ .

ــ د. السيد محمد الدقن : دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية، المطبعة الفنية١٩٧٩ .

ــ د. السيد محمد الدقن : سكة حديد الحجاز الحميدية ، ط ١٩٨٥ القاهرة .

ــ د. بدوى عبد اللطيف عوض : تاريخ الفارقى (تحقيق وتعليق) دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٤ .

ــ بديع جمعه وآخر : تاريخ الصفوين وحضارتهم ، القاهرة ١٩٧٦ .

ــ بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط ٨ ، ١٩٧٩ .

ــ د. بسام كرد علي وآخران : التاريخ المعاصر ، دمشق ١٩٥٤ .

ــ بول اميل : تاريخ أرمينيا ، ترجمة شكرى علاوى ، بيروت بلا .

ــ د. جليلي جليل (الباحث الكردى السوفيتى) : انتفاضة الاكراد ١٨٨٠ ، ترجمة سيامند سيرتى ، موسكو ١٩٦٦ .

ــ خازر ياسين احمد : مشكلة الارمن ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٨٩ .

ــ رفيق شاكر النتشه : السلطان عبد الحميد الثانى فلسطين . مكتبة مدبولى ١٩٩٠ .

ـ ستيفن همسلي : العراق الحديث ، ترجمة د. سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٨٨ .

ـ سعيد الديوهجي : اليزيدية ، الموصل ١٩٧٣ .

ـ سيد عبد المجيد بكر : الاقليات المسلمة في آسيا واستراليا ، مكة ١٩٨٣ .

ـ صديق الدملوجي : امارة بهدينان الكردية ، الموصل ، ١٩٥٢ .

ـ صديق الدملوجي : اليزيدية ، الموصل ، ١٩٤٩ .

ـ صلاح سعد الله : حول اللغة الكردية ، دار الجاحظ بغداد ١٩٨٢ .

ـ عباس العزاوي : العراق بين احتلالين ، الاجزاء من ٤ ـ ٨ (بغداد ١٩٤٠ ـ ١٩٥٦) .

ـ عبد الستار طاهر شريف : المجتمع الكردي ، بغداد ١٩٨١ .

ـ د. عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها أربعة أجزاء ، جـ ٣ ١٩٨٣ الانجلو المصرية .

ـ د. عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي ١٩٦٨ .

ـ د. عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، النهضة العربية ١٩٧٣ .

ـ عزيز الحاج : القضية الكردية ، المؤسسة العربية ١٩٨٥ .

ـ علاء الدين سجادي : تاريخ الادب الكردي : بغداد ١٩٥٢ .

ـ د. علي حسون : العثمانيون والروس ، المكتب الاسلامي بيروت ١٩٨٢ .

ـ علي سيده الكوراني : من عمان الى العمادية ، القاهرة ١٩٣٩ .

ـ علي شاكر علي : تاريخ العراق في العهد العثماني : ط ، الموصل ١٩٨٤ .

ـ د. عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي : مكتبة بسام الموصل ١٩٨٥ .

ـ فايز الغصين : المذابح في أرمينيا ، ط ، بيروت بلا .

ـ د. فايز نجيب أسكندر : استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينيا، سلسلة دراسات في تاريخ أرمينية ، الاسكندرية ١٩٨٧ .

ـ د. فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الاسلامية لارمينية ، الاسكندرية ١٩٨٣ .

ـ كردستان الاسلامية ، سلسلة دراسات اسلامية ، الرياض ٩٧٢ج .

ـ د. كمال مظهر : كردستان في الحرب العالمية الاولى ، ترجمة محمد الملا عبد الكريم ، بغداد ١٩٨٤ .

ـ محمد أمين زكي : تاريخ السليمانية ، بغداد ١٩٥١ .

ـ محمد أمين زكي : تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة محمد علي عوني القاهرة ١٩٤٧ .

ـ محمد ثابت : جولة في ربوع الشرق الادنى ، النهضة المصرية ١٩٥٢ .

ـ محمد ثابت الفندى وآخرون : ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، جـ ١ ، القاهرة ١٨٣٣ .

ـ د. محمد حرب : مذكرات السلطان عبد الحميد ، دار الانصار بالقاهرة ١٩٧٨ .

ـ محمد الخير عبد القادر : نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، مكتبة وهبه القاهرة ١٩٨٥ .

ـ محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف ١٩٦٤ .

ـ د٠ محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ، ج ١ ، دار الشرق جده ١٩٨٣ ٠

ـ د٠ محمد محمود السروجى : مصر والمسألة الشرقية ، الاسكندرية ١٩٦٦ ٠

ـ د٠ محمد مصطفى صفوت : مؤتمر برلين وأثره فى البلاد العربية ، معهد الدراسات والبحوث العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٧ ٠

ـ محمد فريد (الزعيم) : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق وتعليق د٠ احسان حقى ، دار النفائس بيروت ، ١٩٨٣ ٠

ـ د٠ محمود صالح منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث : دار الوزان للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٩٠ ٠

ـ مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثمانى ، ترجمة كمال خوجه ، القاهرة بلا ٠

ـ مصطفى كامل (الزعيم) المسألة الشرقية ، جزءان ، ط ٢ ، مطبعة اللواء القاهرة ١٩٠٩ ٠

ـ د٠ نعمان الطيب سليمان منهج صلاح الدين الايوبى فى الحكم والقيادة ، مطبعة الحسين ١٩٩٠ ٠

ـ د٠ نيفين عبد المنعم مسعد : الاقليات والاستقرار السياسى فى الوطن العربى ، النهضة المصرية ١٩٨٨ ٠

ثانيا : تقويمـــات

ـ اللواء محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية ، مجلد ١ ، مجلد ٢ تحقيق د٠ محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ ٠

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩١/٣٧٤٧

